أبكاها القدر

رُبا درباز

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : أبكاها القدر
المؤلف : ربا درباز
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم الغلاف : Ali Dief
إخراج عام : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٨٥٣٠ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 582 - 4

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى كل روح صابرة، صامدة، أبكاها القدر ولم تستسلم،

بل صنعت من المستحيل أملا.

كانت تمشي مسرعة كالبرق، هكذا اعتادها الناس، لا ترى من يشاهدها، ولا ترى من يتحدث عنها، تشتري حاجياتها بسرعة لا تحب أن تهدر وقتها، فهي الأم والأب لأخواتها، تبث لهم كل حنانها حتى تعوض لهم ما عانوه.

رغم صغر سنها إلا أنها تحملت المسؤولية مبكرا جدا، ركبت القطار للعودة وهي تنظر للأرض تتمتم بذكر الله، لا تعلم أنها لفتت نظر أحدهم ولكنه لم يحدثها، فقط يراقبها من بعيد!!

***

إيلاف فتاة العشرين ربيعا، صغيرة إلا أن فكرها وعقلها ناضجان بدرجة كبيرة يُعتمد عليها جدا، تعمل مصممة للملابس لشغفها بهذا المجال وإبداعها فيه، تصمم لصديقاتها لتنمي موهبتها، تحلم أن يكون لها ماركة خاصة لزي المحجبات، فهي دؤوب وتعمل وتجتهد من أجل ذلك.

أخوها حمزة في الثانوية العامة نهرته عن الانشغال بأي شيء هذه السنة لضمان مستقبله؛ فهو يحلم أن يكون مهندسا للبرمجيات، و صهيب في الصف الأول الاعدادي، أخيرا الأخت الصغرى التي حرمت من حنان الأم والأب باكرا جدا حيث تركوها رضيعة، إنها إيثار ذات الأربعة أعوام تقريبا.

كانت تذهب لتاجر الأقمشة السبت من كل أسبوع لتشتري متطلبات الفتيات من أقمشة وأزرار وزينة .

رآها للمرة الثانية (يا إلهي هذا الملاك الطاهر شغل تفكيري طيلة الأسبوع، سبحان من خلق فأبدع وصور فأحسن).

فرح كثيرا لأنه توقع أنها تأتي كل سبت

منبهر بأخلاقها الراقية وبلباسها ذي السمت المحتشم الذي يُظهر تمسكها بدينها، لاحظ نفس الاسم على حقيبة المشتريات فعرف أنها تشتري من تاجر الأقمشة أسبوعيا، وجالت خواطر في ذهنه بخصوص هذه الفتاة، ما اسمك ياذات الرداء الأسود؟! فضولي يقتلني!! سأعلم كل شئ في أوانه.

***

إسلام شاب في الثالثة والعشرين من عمره، في الفرقة الرابعة من كلية هندسة البرمجيات، يتخرج كل عام بتقدير ممتاز، ومن المحتمل أن يصير معيدا في السنة الجديدة، شاب ذكي من فئة الشباب الملتزم الغيور على دينه طموح ومثقف يحب عمله، لم يكن لديه العديد من الأصدقاء، لانشغاله بدراسته، يذكر أنه طوال اعوام الدراسة لم يحادث فتاة إلا في نطاق الدراسة، لذلك لقبوه بالفتى التقليدي على الرغم من كثرة قرآته عن الحب إلا أنها لم تأت بعد تلك التي تكسر حواجز قلبه. مرض والده وهو في السنة الأخيرة من الجامعة فصار العائل لأسرته، لديه أخته الوحيدة سندس التي تدرس القانون، ووالدته زينب التي تعمل معلمه، ووالده المهندس محمد الفقي.

***

ذهب إلى ذلك التاجر في اليوم التالي وقال بنبرة هادئة:

-السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

- وعليك السلام ورحمة الله وبركاته تفضل يا بني.

- أقمشتكم رائعة.

- أعزك الله يا ولدي.

- اسمي إسلام يا عمي وأريد أن أكون زبونك.

- وانا الحاج فخري، اختر ما تريد وسأكرمك في السعر.

-هل تحفظ أشكال زبائنك؟

- بالطبع فذاكرتي حديد، أحفظ زبوني من أول مرة .

- رائع سآتيك بإذن الله في السبت القادم لآخذ فكرة عن الأقمشة النسائية.

-لامشكلة يا بني تفضل في أي وقت.

-إذًا إتفقنا، أراك السبت إن شاء الله السلام عليكم ورحمه الله وبركاته.

وأخيرا سأعلم عنك شيئاً يا ذات الرداء الأسود ولو اسمك فقط .

«أنتِ التي قلت عنها حين رأيتها: هذه التي خُلقت من ضلعي أنا متأكد».

يبدو عليكِ الكفاح فهل انا صادق؟ يبدو أن على عاتِقك مسؤليةً كبيرة، جعلت منكِ قوية لهذه الدرجة، قريبا يا ذات الرداء الأسود ولكن الصبر.

***

جاءت من جامعتها منهكة تماما فاستقبلتها إيثار بفرحة قائلة (ماما إيلاف) واحتضنتها بشدة معاتبة لها قائلة:

- لماذا تأخرتي هكذا ؟!

أشتاق إليكِ في غيابك لا تتركيني وحيدة مرة أخرى.

احتضنتها إيلاف بحسرة؛ فكلامها يفتح جروحا كبيرة ولكنها طفلة لا تدرك مدى صعوبة هذا الكلام على أختها:

- لن أتركك حبيبتي ولكن عديني أن تستحضري ما أحفظتك إياه من جزء عم، وأريد أيضا تسميع حروف اللغة العربية والإنجليزية لأن لكِ هديةً عندي، اتفقنا؟؟

-اتفقنا.

ذهبت إيلاف لتبدل ثيابها وتصلي العصر ودعت لوالديها كثيرا، فقد اشتاقت إليهما بحجم استحالة رجوعهما إلى الدنيا، هدأت روحها وسكنت بعد أداء الصلاة؛ فهي قد بثت كل أحزانها إلى الله موقنة أنه الوحيد الذي سيجبر خاطرها، قامت بتحضير الطعام وتجمعت الأسرة على المائدة.

حدثت حمزة قائلة:

- متبقي القليل على الامتحانات النهائية لا أريد أن تخذل والدانا؛ فنحن ثمرة تعبهما في هذه الدنيا.

-لا تخافي فالله معي ولن يخذلني.

-بإذن الله.

صهيب: اشترينا لكِ شيئا أتمنى أن ينال إعجابك.

إيلاف: ماذا!! وما المناسبة؟!

صهيب: أنسيتِ أن اليوم هو ميلادك

- كل عام وأنتِ الى الله أقرب .

يالها من مفاجئة رائعة شكرا لكم كثيرا أدامكم الله لي.

قاموا بتقديم الهدايا لها واحتضنتهم بفرحة، ثم ذهبوا إلى الغرفة التي أعدوها لها بالزينة الرائعة واحتفلوا.

في الصباح ذهبت للجامعة لتتفاجأ بصديقتها المقربة نور قد اتفقت مع بنات الدفعة إقامة حفلا لها، لم تتوقع أن يتذكرها زميلاتها ويرحبن هكذا بفكرة إقامة الحفل ويتعاونَّ مع صديقتها.

***

وتمر أيام الأسبوع على إسلام ببطء، فهو ينتظر السبت بفارغ الصبر

قالت إيلاف عند وصلها للمحل:

عـم فخـري أريـد اليـوم أقمشـة مـن نـوع خـاص اريدهـا مـن النـوع (السـتان الفرنـسي) و(التـل)، ومـا أن يناولهـا القـماش قائـلا:

- تفضلي يا آنسة إيلاف .

حتـى دخـل إسـلام وسـمع اسـمها (إذا إيـلاف وتوقعـاتي صحيحـة تـأتي السـبت)، ألقـى التحيـة ثـم أخـبر الحـاج فخـري أنـه قـد أتـى الأسـبوع المـاضي إليـه.

فقـال: بالطبـع فأنـت إسـلام الـذي وعدتنـي بالمجـئ اليـوم مرحبـا بـك

- أريـد تفصيـل شـئ جميـل لوالـدتي، ولكـن لا أعـرف قماشـا ولا مصمـما فهـل يمكنـك مسـاعدتي؟

غضـت إيـلاف الطـرف وذهبـت للركـن الثـاني مـن المحـل لتشـاهد الأقمشـة، فاسـتأذنها العـم فخـري أن تـأتي إليـه دقيقـة.

فقالت: تفضل .

قـال: الأسـتاذ طلـب منـي المسـاعدة وأنـا رشـحتك لتسـاعديه فهـل يمكـن؟؟

قالت: إن كان بإمكاني المساعدة فلن أتأخر

- بنيتـي الاسـتاذ يريـد عمـل فسـتان بسـيط وجميـل لوالدتـه فهـل تأخـذي هـذا العمـل؟

إيـلاف: لا مشـكلة ولكـن لـن يكـون في خـلال هـذه الأيـام، لـدي عمـل كثـير .

قال فرحا: خذي راحتك لا مشكلة.

قالت: إذا فلتأتِ إليَّ الخالة لآخذ المقاسات على هذا العنوان.

يا للفرحة الكبيرة التي غمرت قلبه المرهف فقدعلم اسمها وعنوانها في يوم واحد. لقد نجح في استخدام والدته طعما، ستصير بينهما علاقة وطيدة وتتعرف عليها عن قرب .

خرج عن شروده على امتداد يدها بورقة العنوان التي امتدت فترة ليست بالوجيزة، اعتذر عن هذا الشرود الذي بدا واضحا، خرجت مسرعة حتى لا يفوتها القطار، وبينما هي تمشي رأت حادثا مروعا فجر آلاما كامنة وجرحا عميقا وحزنا مكتوما تحاول طيلة السنوات الماضية أن تضمد هذه الجروح وتداوي تلك الأحزان.

عادت بذاكرتها إلى الوراء

-أمي جهزت لكِ باقي مستلزمات السفر.

- بارك الله فيكِ يا بنيتي .

- أمي ستتعبك إيثار في السفر اتركيها معنا .

- لا يا صغيرتي فإنها حديثة الولادة ولا يجب أن أتركها .

- وهل ستقدرين على أداء مناسك الحج وانتِ تحملينها .

- لا تقلقي سأتصرف .

- اوصيكِ بأخوتك كفوا عن التشاجر.

- كوني أما لهم في غيابي وإن قدر الله وتوفاني الله في الحج فكوني أما دائمة لهم.

- لا تقولي هذا يا أمي أرجوكِ .

- ستعودان سالمين بإذن الله.

تجمعت الأسرة لوداع الحجاج وهما يرتديان ملابس الإحرام التي توحي بالطهارة والنقاء، هذه آخر صورة لهما في ذاكرتهم، استودعتهم الله ودعت لهم بالسلامة، حملت الأم الرضيعة وركبا السيارة، أصر الأطفال على الذهاب معهما لتودعيهم مرة اخرى في المطار، كان قلبهم مقبوضا يريدون أن يكونوا معهما في آخر لحظات حياتهم، وبينما السيارة تنطلق وهما يكبران ويهللان وتغمرهما الفرحة والبهجة خرجت شاحنة طائشة ارتطمت بسيارتهم، تناثرت أشلاء على الأرض، البكاء والعويل يعمان المكان، تزدحم الطريق بالسيارات، يتصل أحد المارة بالإسعاف عدة مرات، تتأخر الإسعاف، يفيق البعض من صدمته، يتأمل حوله، الأبوان، الأشلاء، الأخوة، يقذف الله الصبر في قلب هذه الفتاة، تحوقل، تستغفر، تناجي السماء (اللهم أجرني في مصيبتي)

أفاق كل من حمزة وصهيب في المشفى لا يعلمان ماذا جرى، كل ما يتذكرانه هو صراخهم قبل إغمائهم، أفاقا فوجدا إيلاف تحمل الرضيعة وعيناها حمراوان من كثرة البكاء وجها ذابل جدا .

حدثاها: لماذا نحن هنا ولما إيثار معكِ أليس من المفترض أن تكون مع أمي؟

سمعت كلمة أمي وانفجرت في البكاء.

قالت: أحبتني اذا أحب الله عبدا إبتلاه والله يحبنا و يعلم أننا سنتحمل هذا البلاء العظيم .

- أمي أوصتني كأنها تعلم أن أجلها قادم قالت لي كوني أُما حنونا لأخوتك وها أنا سأنفذ الوصية.

- والدينا الآن في ذمة الله.

بكا وصرخا وادمعا احتضنتهما بشدة قائلة عداني أن تنفذا وصية والدينا، الأقارب مذهولون مما يحدث، لا يعلمون هل يواسونهم ام يواسون أنفسهم، فالطبيب محمود والدهم مشهور بأخلاقه الكريمة حيث كان ينظم يوما في العيادة للكشف المجاني لغير القادرين وكفالته لأسر كثيرة والأستاذة فاطمة كانت تقوم بتحفيظ الفتيات القرآن مجانا، كانا مثالا يُقتدى به، تركا اثرا طيبا مع الجميع، لم تر إيلاف جنازة تشيع هكذا؛ كم المشيعين كبير جدا، والجثمان، كما كان يقول الرجال، تطير طيرا، لم يشعروا بعناء قط، فهذه بشارة من الله ليشفي جروح صدورهم.

أفاقت من ذكرياتها الأليمة داعية لوالديها بأن يجمعهما بها في الفردوس الأعلى.

***

ركب القطار متعمدا أن لا يريها وجهه، وكان في قمة سعادته، وصل المنزل فاتجه إلى والدته قائلا:

- كيف حالك يا أحلى أم ؟

- بخير يا حبيبي وأنت كيف كان يومك؟

- من أجمل أيام حياتي يا أمي، قد قررت أن أصنع لك فستانا عند فتاة تعرف تصميماتها بالرائعة وعندما تحدد موعد الذهاب سآخذك إليها اتفقنا؟

- ولكن ما المناسبة يا ولدي؟

- المناسبات كثيرة المهم المضمون .

- أشك في أمرك يا ولد ولكن ما باليد حيلة.

نظر لها نظرة مكر ضاحكا:

- أنا مسكين يا أمي.

بعدها ذهب لأخته وأخبرها بما حكاه لأمه فقالت:

- إن أمرك مريب، احكِ لي يا ولد عن التي شغلت فكرك وجعلتك تقيم هذه المسرحية لتصل إلى بيتها.

- أنتِ دائما كاشفة أمري يا فتاة.

- لا تخافي سأحكي لكِ كل شئ، ولكن الصبر، أعرف ولو معلومة عنها.

- حسنا وما اسمها؟

- إيلاف أسمها إيلاف.

- رائع من الظاهر انك صرت متيما.

- لا تخجليني يا أختي وإلا لن أبوح لكِ بشئ .

- إن كان لكما خير فسيتم الله لكما على خير بإذن الله.

***

جهزت فساتين وعباءات صاحباتها وأخذتهم معها للجامعة:

- أريني يا إيلاف أنا متشوقة لرؤية الفستان .

- وانا كذلك هيا هيا .

فتحت الأكياس لهم حتى يشاهدوها، وبينما هم يشاهدون إذا بأستاذة بالقسم تمر وتنبهر بهذه التصاميم قائلة:

- من صاحبة التصاميم؟

ردت إيلاف: أنا .

قالت بصوت عالٍ: إنها تصاميم رائعة، أكل هذا الوقت لم تقدمي في شركات للتصاميم؟! كيف تكون موهبتك بتلك الروعة وما زلت تدفنينها؟!

- حلمي بعد التخرج هو فتح مشغل كبير باسمي .

- نعم رائع ولكن لابد أن تنمي نفسك حتى تكتسبي شهرة وتستطيعي بعدها فتح شركتك الخاصة، وستكون لكِ ماركة مسجلة للمحجبات، أنا واثقة، فعملك رائع جدا، يا بنيتي لا تضيعي هذه الفرصة، هل تريدين مساعدتي؟ إن وافقتِ سأكلم إحدى الشركات المشهورة ويقومون بعمل لقاء معكِ وأريهم التصاميم الخاصة بكِ وأنا متأكدة أنهم سيأخذوكِ لا محالة.

قالت إيلاف: سأكون ممتنة لكِ كثيرا أستاذتى.

***

- صهيب ياصهيب أسرع.

- نعم يا إيلاف ماذا يجري.

- رد على الهاتف هذا رقم غريب .

- حسنا، السلام عليكم من معي؟

- أنا إسلام الآنسة إيلاف أعطتنا هذا الرقم لنتواصل معها بخصوص التصميم.

- حسنا سأخبرها .

قال بصوت منخفض: أختي يقول إنه إسلام اتصل بشأن تصميم .

- نعم! نسيت أمره.

الحمد لله اني انهيت امتحاني اليوم

أخبره أن يجلب والدته غدا فى الساعة الواحدة ظهرا

- آسف على التأخير يا سيد إسلام .

- أخبرتني إيلاف غدا في تمام الساعة الواحدة ظهرا .

إسلام: حسنا سنكون عندكم في الواحدة بإذن الله.

حسنا، على خير بإذن الله، السلام عليكم.

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

أخبر إسلام والدته أن تجهز نفسها غدا لتذهب لها لتأخذ المقاييس وتختار التصميم المناسب لها ولسنها.

***

- إسلام أرى أنك في كامل أناقتك اليوم ماذا يجري؟

- ابنك دائما في كامل أناقته يا أمي ما الجديد؟

ضحكت أمه وقالت: تفضل يا أُس المصائب لنخرج.

كان مهذبا لحيته ومرتديا ساعته الجميلة ونظارته الشمسيه إن رأته فتاة فتنت بجماله وأناقته .

وصلا إلى المنزل وطرق الجرس، فتحت لهم طفلة في غاية الجمال قال لها إسلام مداعبا: ما اسمك يا حلوتي؟ فهو مغرم بالأطفال

قالت له: لا أكلم الغرباء ماذا تريد؟

حينها جاء صهيب قائلا: تفضلا بالدخول .

فقالت له إيثار: لا تتدخله انه يقول لي يا حلوتي .

انفجر إسلام بالضحك قائلا لها: نعم حلوتي أتمانعين؟

جرت دون أن تحاكيه، أدخل صهيب إسلام في غرفة الضيوف ووالدته إلى حجرة التصميم، كانت إيلاف في طريق العودة، جاءت مسرعة كالعادة لانها تحترم المواعيد، أحس بدخول

أحدهم المنزل فشك أنها هي، دخلت غرفة التصميم ورحبت بالسيدة، جاءها صوت إيثار:

- ماما إيلاف اشتقت إليكِ كثيرا .

احتضنتها بشدة.

قالت لها إيلاف: وأنتِ ياروح إيلاف اشتقت إليك أكثر.

قبلتها وأخبرتها أن تنادي صهيبا لحظة، فنادته وهي تتحاشى النظر لذلك الوغد الذي يغازلها كما تقول، كان اسلام قد سمع الحوار الجاري بينهما حين نادتها بهاما؛ لأن الغرفة قريبة جدا من تلك فقال لنفسه: لما تناديكِ بهاما؟ أيعقل أنها متعلقة بك لهذه الدرجة؟!!

***

في غرفة التصميم تحدثت إيلاف قائلة:

- خالتي اختاري من ضمن هذه التصميمات لأنها ستليق جدا بسنك وفي قمة الإناقة.

- اختاري لي يا بنيتي فأنا أثق في ذوقك.

- حسنا عليكِ بهذا.

- كما تريدين يا جميلة.

- هل لي أن أسألك سؤالا يا بنيتي؟

- تفضلي طبعا.

- لماذا الصغيرة تناديكِ ماما؟

- لأنني من ربيبتها.

- عذرا على تتدخلي لا تؤاخذيني .

مسحت بطرف يدها دمعة نزلت خلسة،

لكن السيدة زينب لاحظتها، فغيرت مجرى الحديث قائلة:

- لكن عملك ممتاز جدا يا بنيتي، أرى فيكِ مستقبلا مشرقا.

- شكرا لك هذا من لطفك.

- أخوكِ رائع ومهذب جدا.

- تقصدين صهيبا؟

- واسمه جميل أيضا.

- حماكم الله يا بنتي .

- اللهم آمين .

خرجت أم إسلام من الغرفة وودعتها إيلاف بثغرها الباسم.

دار حوار بينه وبين والدته:

- ما رأيك في عملها يا أمي؟

- راق وجميل أحببت عملها وأحببتها هي شخصيا.

قال في نفسه: «لست وحدك من أعجب بها يا فتى إذا هذا في صالحك».

- إسلام؟

- ها؟ ماذا يا أمي؟

- ألا أتحدث معك يا ولد؟

- اعذريني شردت قليلا .

- أقول إنه ينتابني الفضول لأعرف عنها أكثر أتعلم أنت عنها شيئا ؟

قال ضاحكا: أردت منك أن تعرفي.

- لم أعرف شيئا إلا أنه ينتابني الفضول حول أختها الصغيرة لماذا هي من ربتها وحدها أليس غريبا؟

- نعم وانا استغربت كثيرا.

-هل تتوقع أن يكون والداهما مسافرين؟

- لا أظن ولكن سنعرف.

- وبصفتنا ماذا سنعرف!

- لا أعلم يا أمي ولكن حدس.

- كاد الحزن أن يفجر مآقى الدمعة إلا أن الحياء منعها، فعرفت أن لها جراحا لم تضمد بعد، ففضلت السكوت لئلا ازيده عليها.

- أحقا يا أمي ما تقولين ! كان الله في عونهم أثرتي فضولي أكثر يا أمي.

- يعني أن لديك فضولا حيال إيلاف منذ البداية.

داعب خصلات شعره خجلا قائلا: لا لا فضول عادي هيا أسرعي لنصل باكرا.

ردت بمكر: حسنا حسنا

***

أنهت إيلاف امتحانات نهاية العام وهيأت الجو لأخيها حمزة لأن اختباراته على الأبواب، حتى أنها أجلت أي تصميم جديد طُلب منها إلى أن يُنهي أخوها اختباراته، فكانت تسهر معه لتلبي حاجاته، و تختبره لتتأكد من رسوخ معلوماته، هدفها الوحيد أن يصل حمزة لما يريد، كانت تدعو له ليل نهار وتطلب من الله أن يمنحها القوة..

***

غدا هو امتحانك يا عزيزي فلابد من النوم مبكرا حتى تستطيع التركيز في الامتحان، لبى حمزة طلب أخته وذهب لفراشه ...

- أختي كثفي لي الدعاء أرجوكِ.

- لا تقلق يا أخي لن يخذلك الله أبدا، ولن يردد لساني دعاء إلا لك ولكن الآن اذهب لتنم جيدا.

جلست تسامر إيثارا وتحكي لها قصة قبل النوم كما تفعل معها:

- إيلاف ألستِ أنتِ [ماما].

إيلاف: أنا أختك ولكن من ربيتك فاعتبرك ابنتي الجميلة.

إيثار: ولكن لماذا سمعت المعلمة تخبر صديقتها أنني مسكينة وليس لي والدان؟!

أشاحت وجهها بسرعة ومسحت دمعة هربت من مقلتيها، ثم قالت لإيثار: وماذا قلت لها؟

- قلت إنني لدي أم وهي إيلاف، وأمي وأبي قد ماتا كما أخبرتني ولكن ماذا تعني ماتا؟؟

- أي اختارهما الله ليكونا بجواره في الجنة.

- وهل سنموت قريبا لنكون بجوار الله وأبي وأمي؟

احتضنتها وقالت:

- الله فقط من يعلم يا إيثار .

هيا لنخلد إلى النوم حتى نوقظ حمزة مبكرا.

استيقظت قبل حمزة وصلت ركعتين، ففي هذا الوقت تعم السكينة وتشعر بكل كلمة تناجي بها ربها وتحس بمدى قربه منها، والذي من نصيبه هذا الدعاء في الوقت المبارك هو حمزة.

أعدت الفطور وذهبت لتوقظ حمزة:

-استقيظ يا حمزة لتصلي الفجر وتستذكر ما قرأته البارحة.

-حسنا يا إيلاف

-هل دعوتِ لي؟

-نعم وكثيراااا أيضا يا أخي.

-توكل على الله فهو حسبك.

-ونعم بالله.

-إياك والخوف فأنت تعبت واجتهدت طيلة العام ولن يضيع تعبك هباء منثورا.

- نعم اجتهدت لأصل لهدفي وحتى يفرح بي والداي في قبرهما ويطمئنا علينا، الفضل بعد الله هو لكِ يا إيلاف، فلولاك لسقط بيتنا وصار خرابة ولكنك تصرفت كأم حنون وأب عطوف قوي وأخت تنصح أخوتها وتأمن لهم مستقبلهم، أي قوة وهبها الله لكِ، فليبارك الله لنا فيكِ ويحفظكِ لنا من كل سوء، أحبك كثيرا يا أختي.

-أخي الحبيب كل هذا بفضل الله وبفضل تنفيذنا لما أوصانا به والدانا دمتم لي يا أحبابي.

ذهب حمزة لأداء امتحانه، وبعد أن انتهى ظلا ينتظرانه بفارغ الصبر، جاءهم متفاءلا وقال:

- قد أبليت بلاء حسنا في الامتحان يا إيلاف.

-الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه جميل يا أخي لا تهمل الباقي اتفقنا؟

-حسنا.

تمر باقِي الامتحانات على حمزة سهلة سلسة، قابلته بعض الصعوبات في الفيزياء والرياضيات البحتة، إلا أنها لن تُنقصه عن هندسة البرمجيات، يُنهي امتحاناته على خير منتظرا النتيجة.

***

يوم إعلان نتيجة الثانوية هو اليوم الذي سيتحدد فيه مصير حمزة، وكل طالب جد واجتهد وكل طالب تكاسل وتخاذل.

- إيلاف أريدكِ انتِ من يخبرني بنتيجتي لا أحب أن أراها أولا.

- حسنا لا تقلق وتوكل على الله.

- عاااااجل نتيجة الثانوية العامة بعد قليل ترقبوها على المواقع.

هكذا كان الخبر على التلفاز، انتفضت إيلاف بسرعة إلى جهازها المحمول [اللاب توب] وفتحت موقع الوزارة مترقبة النتيجة، تنتظر وتنتظر وتنتظر، حينها حمزة يئس وقال:

- سيظهرونها منتصف الليل؟! سأذهب للصلاة فقد مللت الانتظار.

جلست إيلاف هي وإيثار هما أيضا قد ملا.

- سأجرب آخر مرة بعدها سأصلي العشاء.

نتيجة الثانوية الآن.

دق قلبها وخفق كتبت الرقم السري بسرعة:

حمزة محمد محمود علي

٪ ٩٥

- ورباه لم يضع مجهودك يا حبيبي.

- اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.

سجدت سجدة شكر لله، وما إن جاء حتى احتضنته بشدة.

- مبارك يا مهندسنا مبارك. بيضت وجه أبينا أنا فخورة بك.؟

- أختي هل تتحديثين بصدق أم مزحة؟!

- أقسم أني أقول الصدق.

- يا الله يا الله لك الحمد يا الله.

- إيلاف أريد أن أشترك في مسابقة الغناء هل توافقينني؟

- اشترك يا صهيب فصوتك عذب وسينشرح صدر السامعين بإذن الله.

- ولكنني لم أتدرب والمسابقة بعد يومين .

- لا بأس ألست حافظا للأنشودة؟

- بلى.

- إذا لا بأس ستتقنها خلال اليومين بإذن الله.

تقيم المدرسة في الصيف نشاطات طلابية للموهبين من رسم وغناء وأشغال يدوية، ومن يفز يُصعد للمحافظة وهكذا.

تـدرب صهيـب عـلى الأنشـودة جيـدا، وفي الصبـاح ارتـدى ملابسـه واتجـه إلى المدرسـه داعيـا الله بالتوفيـق وعـدم الارتبـاك، وقـف أمـام اللجنـة، عرفهـم باسـمه وفي أي صـف، وقـال أحدهـم:

- ما اسم اغنيتك؟؟

- دثريني وارحلي أهديها لأمي.

- إذا ابدأ يا بني .

بدأ قائلا:

دَثِّرِينِي وارْحَلِي لَمِلمِي شَعثًا مُذَابْ

اعْجِنِيْ مِنْ حُزْنِيَ المُلْتَاعِ أَلْوَانَ العَذَابْ

لا تَقُولِي إنّني نَجْمٌ تَوَارَى فِيْ غِيَابْ

لا تَزِيْدِي لَوْعَةَ المُشْتَاقِ وَاهْمِي كـ السّحَاب

احضُنِينِيْ وارْحَلِي كالأمْسِ يَخْبُو فِيْ ارْتِيَابْ

أنتِ ذِكْرَى أنتِ طيفٌ عابرٌ يَحْكِي سَرَابْ!

..... إلى نهاية الأغنية

الكلـمات قـد لمسـت قلـوب المسـتمعين، أداؤه رائـع وصـدق مشـاعره زاد أغنيتـه جمـالا فـوق جمالهـا.

قـال لـه أحـد الحـكام: أضمـن لـك أن تكـون أحـد الفائزيـن إن لم تكـن في المركـز الأول فأسـلوبك في الإلقـاء راق جـدا أتمنـى لـك الفـوز.

شكرهم فرحا وخرج من المدرسة مرتاحا، فلم يربكه الحضور وغنى وكأنه وحده ليُخْرِجَ كل مابه من مشاعر بصدق.

***

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، كيف حالك يا جدتي اشتقت إليك كثيرا؟!

- وأنا أيضا يا حبيبتي اشتقت إليكم كثيرا.

- قد استغربت لعدم اتصالك بنا البارحة .

نعم يا حبيبتي أعذري جدتك فقد مرض جدك كثيرا وقد أتى خالك من سفره أخيرا .

- جدي !!!! ما به شفاه الله وعفاه؟!

- وخالي!! يا الله بعد هذا الغياب الطويل؟!

- مرض كثيرا ونقلناه للمشفى مكثنا اليوم كله وبعدها أخرجه الأطباء.

- والأن كيف هي صحته؟

- أفضل حالا من البارحة، الحمد لله، ولكنه نائم في الفراش وخالك قد أتى فجأة حتى أنه لم يخبرني أنه آت، سمعت طرق الباب وإذ بي أرى محمد أمام عيني.

- يالها من مفاجأة.

- حسنا بما أننا أخذنا الإجازة وحمزة أنهى ثانويته، فسنأتي إليك اليوم إن شاء الله لنطمئن على جدي ونسلم على خالي العزيز.

- كنت سأخبرك أنني أعددت لكم ما تحبونه من الطعام اليوم وهيا تعالوا إلينا .

- حسنا يا جدتي العزيزة.

- أخبري حمزة أنني وجده اشترينا له هدية بمناسبة دخوله كلية الهندسة ولكنها مفاجأة.

- سأغار من حمزة إذا .

- لا، فكلكم أحبابي يا بنيتي .

- سأرسل إليك خالك محمد ليأخذكم بالسيارة بعد قليل.

- أنت تعلمين أنني أصبحت أكره السيارات، وصارت هناك عقدة بيني وبينها .

- سنستقل المترو فالمسافة قريبة.

- بُنيتي أعمارنا بيد الله لا نعلم إن كنا سنموت في حادث مترو أم قطار أم سيارة أم غير ذلك فتوكلي على الله.

- ونعم بالله ولكنها رهبة وكره من الموقف الذي رأيته أمام عيني أليس الموقف قاسيا؟

- بـلى، ولكـن مـا باليـد حيلـة، فقـط نسـأل الله السـلامة فأقدارنـا مكتوبـة.

- اتفقنـا إذا سـأذهب لتجهيـز الحقائـب السـلام علكيـم ورحمـة الله وبركاتـه.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته في رعاية الله .

- حمزة .. صهيب. إيثار تعالوا بسرعة .

- نعم يا إيلاف ما الخطب؟

- سـنذهب لقضـاء بعـض الأيـام عنـد جـدي هيـا جهزوا ملابسـكم وحاجياتكـم بسرعـة قبـل أن يـأتي خـالي لاصطحابنا.

- خالنا!!!!!

- نعم قد أتى خالنا البارحة .

- اشتقنا إليه كثيرا بعد هذه الغيبة .

- جدنا مريض ادعوا له بالشفاء.

- صحيـح قـد جهـز لـك يـا حمـزة جـدي وجـدتي الحبيبـان هديـة جميلـة بمناسـبة نجاحـك ولكنهـا قالـت لي إنهـا مفاجـأة.

- واااااااو أحـب المفاجـآت وخصوصـا مـن جـدي؛ فهدايـاه دائـما تفرحنـي يعيـش جـدي يعيـش.

- يعلـم كل الأشـياء التـي أحبهـا أدامـه الله لنـا وشـفاه مـن كل علـة ومـرض .

– اللهم اااااااااامين.

– هيا بسرعة لا نريد أن نأخر خالي المسكين .

– حسنا حسنا .

– إيلاف أريد ان أرتدي الفستان (البينك).

– ولكنه فستان مناسبات يا إيثار لا يجوز ارتداؤه الآن اختاري فستانا من هؤلاء.

– حسنا اختاري معي .

– هل يعجبك الفستان الفستقي؟

– نعم أحبه كثيرا .

– حسنا لنرتديه إذا .

– ارتدوا جميعا ملابسهم وجهزوا الحقائب.

بعدها بقليل وصل خالهم محمد وطرق الباب، فتحت إيلاف الباب بلهفة قائلة:

– خالي الجميل اشتقنا لك كثيرا .

– أحبائي الصغار قد اشتقت إليكم أضعافا .

– هيا لنسرع فجدتكم تريد رؤيتكم بفارغ الصبر .

على الرغم من زيارتهم المستمرة لجدتهم إلا أنها تشتاق إليهم دائما، فهي ترى فيهم روح فقيدتها، فكل واحد جمع صفات منها، ولكن التي جمعت كل الصفات تقريبا هي إيلاف

وذلك لقربها الشديد من والدتها ولأنها أكبرهم، غياب خالهم الطويل كان منذ الحادث فلم يستطع تحمل الصدمة لأن أخته كانت بالنسبة له أمه الثانية، قد كان شديد التعلق بها، سافر بعد الحادث إلى تركيا، في السنة الأولى كان باله مشتتا حزينا غير قادر على اتخاذ أي قرار بشأن حياته، فقط يتذكر أخته ويبكي إلى أن أيقظه صديقه الذي معه في السكن، وذكَّره بالله وعن مكانة الصابرين قائلا:

- نحن في هذه الحياة الدنيا يعترينا ما يعترينا من الآلام والأكدار والمصائب والبلايا، فهل سنظل نذرف الدموع ويعتصر القلب على ما حل بنا ينبغي أن تعلم يا صاحبي أن الله اختار لك هذا البلاء، لأنه يعلم أنه بمقدرتك تحمله وأعلم أنه ابتلاك وهو أرحم الراحمين، فهو أرحم بك من نفسك فلا تعترض وارضَ رضاء تاما ليرضيك، و ذكر له الآية «وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون»، كأنه كان يسمعها لأول مرة.

(كيف يخاطب الله الصابرين هكذا ويعلي من قدرهم وأنا جازع كل هذا الجزع، يبشرهم بأن عليهم صلوات من الله ورحمة ولا أغتنم هذه الفرصة ألهذه الدرجة أنا أحمق، يا الله سامحني واغفر لي زلاتي فسأصبر على فراق أختي لترتاح في قبرها ولتكتبني من الصابرين) .

احتسب أخته عند الله من الشهداء وقرر أن يفرحها وان يكمل (الماجستير)، فقد كان يدرس هندسة (الميكاترونكس) في

مـصر وفعـلا قـدم عـلى منحـة البحـوث وتـم قبولـه، أتـم عامـي البحـث وهـا هـو الآن في مـصر .

***

استقبلتهم استقبالا حارا قائلة:

-أحبائي الأعزاء قد وصلوا.

- اشتقت إليكم كثيرااااا ياأولادي.

- وأنت أيضا يا جدتي اشتقنا إليك كثيرا ولجدي.

احتضنـوا جدتهـم وقبلـوا يديهـا وبعدهـا أخبرتهـم بـأن جدهـم في انتظارهـم في غرفتـه.

- جدي الحبيب شفاك الله وعفاك من كل سوء.

- أبنائـي الأعـزاء أنـا بخـير، الحمـد لله جدكـم قـوي لا يقلـق عليـه صحتـه حديـد.

رددوا ضاحكين:

-نعم نعم بالطبع يا جدي هههههههههههههههه.

- أتسخرون من جدكم العجوز؟

- هههههههههههههه لا لا وإنما نمزح معك.

- أتم الله شفاك على خير.

- اللهم اااااااامين .

- جهزت لك مفاجأة يا حمزة، أعرفتها؟

- ينتابني الفضول يا جدي ولكني أتظاهر الأدب .

- هههههههههههههه منذ صغرك وأنت تلح عليَّ لتعرف ماهي المفاجأة ولهذا أستغربك الآن.

حك شعره ضاحكا وقال:

- لأبدو لك مهذبا فقط ولكن مازال فضول الطفولة كما هو.

- حسنا يا فضولي سأخبرك.

- اشترينا لك سيارة يا مهندسنا الناجح.

- سيارة!! لا أصدق هذا.

- والنوع الذي كنت تتمناه.

- نيسان باترول سافاراي!!

- نعم هي .

- ولكنها غالية جدا يا جدي !

- لا تغلى عليك يا حفيدي الغالي .

احتضن جده بشدة وشكره على هذا التقدير.

***

كان إسلام متحيرا، لا يعلم كيف يبدأ مع والدته الحديث عن إيلاف، فقرر أن يبدأ الكلام عن الجامعة ثم يجاريها في

الحديث إلى أن يصل لمبتغاه فقال:

أمي أريد أن أخبرك شيئا -

قل يا حبيبي فأنا أسمعك -

- كما تعملين أن قرار تعيني في الجامعة ليس محببا بالنسبة لي فأنا اريد السفر لا أريد أن أبقى هنا فهل أرفض التعيين؟

-لا ترفض يا بني فربما تأتيك منحة من خلال تعينك للماجستير وقتها اترك العمل ولكن لا ترفضه من البداية.

-امممممممم حسنا.

الأم :لم يكن هذا الشئ وحده التي تود الحديث معي فيه قل هيا كلي آذان مصغية.

-كيف عرفتِ؟!

- حدس الأم لا يكذب أبدا.

- معكِ حق، أتعلمين أنني استخدمتك كطعم لأعرف عن إيلاف أكثر وأكثر.

- ماذا!!!!

- سأخبرك الحكاية يا أمي منذ البداية .

لفتت نظري وأنا في القطار، وجهها ملاك يفتن لروعة حُسنه من يراه، في كل مرة أنظر إليها أحتسبها أول مرة فأُمَعن النظر لوجهها لكن أتذكر أنها ما تزال محرمة عليَّ فأغض

الطـرف خجـلا مـن الله، وحجابهـا ذو سـمت محتشـم، وحياؤهـا الـذي غلـب التعريـف عنهـا وتمتمتهـا التـي زادتنـي فضـولا كلهـا علامـات تعجـب واسـتفهام، لا أدري ولكننـي تمنيـت أن أعـرف عـن هـذه الفتـاة التفاصيـل والـذي زاد شـغفي هـي رؤيتهـا الأسـبوع الـذي يليـه في نفـس الوقـت وهـي تحمـل حقائـب نفـس اسـم المتجـر الـذي رأيتهـا تحملـه الأسـبوع الـذي قبلـه، فتأكـدت أنهـا تـأتي السـبت مـن كل أسـبوع وقـررت أن أسـتخدمكِ لكـي أعـرف عنهـا أكثـر.

- ابنـي صـار متيـماً لا أصـدق؟! ولكنـي في النهايـة صرت طعـما لولـدي شـكرا شـكرا يـا إسـلام .

- أمـي لا تجعلينـي أنـدم لأني تكلمـت، لسـت متيـما صدقينـي، هيـا يـا أمـي الحبيبـة ستسـاعدينني أليـس كذلـك؟

- هل أخبروك من قبل أنك ممثل فاشل؟

قال بعد أن قهقه:

- بالطبع وهذا فخر لي.

- قل إذا ما المطلوب؟

- حسـنا سـتذهبين أنـت وسـندس إليهـا لتصمـما عندهـا فسـتانا لإعجابهـا الشـديد بتصاميـم إيـلاف

- وهـي بالفعـل قـد أعجبتهـا كثـيرا طريقتهـا في التصميـم وبعدهـا تجارياناهـا في الحديـث، كـم عمرهـا وفي أي كليـة ويستسحسـن أن تسـأل سـندس لأنهـما في سـن بعضهـما فلـن تأخـذ الأسـئلة

بحساسية من سندس، ولكنها ربما تأخذها منك بحساسية ويا حبذا إن صارتا صديقتين لكي تعرف أكثر عنها، ولاتسأل بصحيح العبارة عن السن لكما يا سيدات طريقتكن في التسامر لن أعلمكما.

- هههههههههه طبعا طبعا.

سمعت سندس تمتمتهم فجاءت بسرعة لأنها تعلم أنه وراء هذه التمتمة شيئا مهما.

- ماذا يجري!! تحيكان شيئا من ورائي لا هذا ظلم.

-انت من سينقذنا في هذه الحياكة يا أخت ولكن إياكِ أن نُفضح بسبب ثرثرتك.

سندس: أخبرني أولا.

إسلام: عن إيلاف أفهمتي؟

سندس: هاااااا إيلاف إذا وهل أخبرت أمي يا أستاذ روميو؟!

إسلام: روميو !!! سأضربك بالكوب إن لم تكفي عن سخافاتك تكلمي بعقلانية ولو ليوم واحد، يارب رزقتني بعاهة وليست أختا!

- هههههههههه سخيف.

إسلام: قد أعجبتك تصاميمها أليس كذلك؟

سندس: بلى، وأريد فستانا أنا الأخرى.

إسلام: وهذا هو المطلوب ستذهبين أنت وأمي لها لتصمم لك فستانا، ومن خلالها ستتعرفين عليها وتعطيني التفاصيل، لن أخبرك كيف تجلبين المعلومات يا حضرة المحققة فهذه مهنتك.

- اتفقنا ولكن أين أتعابي؟

- أي أتعاب؟ عندما تذهبين أولا .

- محامية جشعة هههههههههههه .

- مهندس أحمق .

- اصمتا يا أطفال .

- حسنا حسنا المهم أنني أعلمتكما وأنتما عليكما التنفيذ.

- اتفقنا إذا سأذهب لأتصل إذا.

***

- حمزة حمزة .

- ماذا يا إيلاف؟؟!!

- خذ رقم غريب يتصل.

- ناوليني.

- سلام عليكم؟!

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- لحظة أخبرها بما قلته.

يقول إنه إسلام الذي جاء مع والدته وصممتِ لها فستانا منذ فترة.

- نعم تذكرته !

- نعم تتذكركم .

- أخبرها أن أختي تريد أن تأتي لتصمم هي الأخرى فستانا.

أخبر حمزة أخته بذلك وقالت

:- بكل سرور ولكن أخبره أننا سنعاود الاتصال به بعد عودتنا إلى المنزل.

- اتفقنا إذا .

- حسنا سلام عليكم.

- علام اتفقتم؟! هذا ما قالته سندس لإسلام.

إنهم غير موجودين في المنزل بعد عودتهم سيتصلون بنا.

سندس: تووومام.

***

- سأخبرك بخبر جميل أخفيته عنك .

- أسرعي يا جدتي !!

- خالتك ياسمين أتت من الكويت منذ أسبوع وستأتي اليوم إلينا .

- ماذا قلتِ ياجدتي !!! هل حقا ما أسمعه.

- خالتـي ياسـمين أتـت هـذا الصيـف يـا لـه مـن صيـف ممتـع اشـتقت إليهـا كثـيرا .

***

ياسـمين تزوجـت قبـل وفـاة أختهـا بحـوالي شـهرين عـلى الرغم مـن أن سـفرها كان بعـد الحـادث مبـاشرة، إلا أنهـا أجلتـه لتكـون بجـوار أبنـاء أختهـا، فقـد كانـوا في أمـس الحاجـة لمـن يواسـيهم، لم تنجـب إلا هـذه السـنة طفـلا في غايـة الجـمال أسـمته يـزن...

لنرجع إلى ما كنا نحكيه.

- أنـا لم أخبرهـا أنكـم موجـودون سـأجعلها تتفاجـئ بكـم و بمحمـد .

- أنتظـر أن أرى يـزن بفـارغ الصـبر صـوره التـي كانـت ترسـلها لي زادتنـي شـوقا لرؤيتـه يشـبه المـلاك تبـارك الله.

- هيا لنجهز الأطباق فهي أوشكت على الوصول حسنا إذا

- قامـت بتجهيـز الأطبـاق عـلى المائـدة مـع جدتهـا وتجهـزت بعدهـا للقـاء خالتها.

الجرس يدق ...

- سأفتح أنا يا صهيب .

- خالتي ياسمين .

- حبيبتي الغالية اشتقت إليك كثيرا كثيرا

- وانا أيضا اشتقت إليك كثيرا واشتقت لضحكنا معا ولحضنك الدافئ وكل شيء كل شيء.

- سلمي على الباقي واتركي لي هذا اليزن الصغير لألعب به.

- لا تملين من الأطفال منذ صغرك!

سلمت على والدتها وأبناء أختها ودخلت لغرفة والدها وقبلته وأخذت بيده لتخرجه من هذه الغرفة الكئيبة ليجتمع شمل الأسرة الجميل.

- اااااااااه لو كان محمد هناااااااا

- والذي لا تعرفينه أنني هنا منذ أسبوع.

سمعت ياسمين ما قاله محمد غير مستوعبة أن هذا فعلا صوته.

- محمد، احتضنته غير مصدقة أنه أخيرا قد عاد إلى مصر

- أنا سعيدة جدا.

قالت الجدة :اللهم أدمها نعمة.

ردد الجميع: اللهم آمين .

بعد أن تناولوا الغداء جلسوا في غرفة (الصالون) كل منهم يتذكر أيام طفولته، فصهيب تذكر خاله عندما كان يحمله على كتفه ويجري به إلى أن يسقطا معا، وفي مرة سقط صهيب ونزف

دمـا، يومهـا جدتـه وبخـت خالـه وضربتـه، ضحـك وقـال:

- أخدت علقة يومها معتبرة يعني هههههه.

وقـال حمـزة: أتذكـر أيضـا يـا خـالي عندمـا كنـت تجلسـني أمامـك عـلى الدراجـة وتقودهـا مسرعـا جـدا وأنـا أضحـك كثـيرا.

محمـد: نعـم وأنـت كنـت تـردد: عايـز تـاني عايـز تـاني إلى أن سـقطت أيضـا وكرهـت الدراجـات.

- هههههـه نعـم كرهتهـا لفـترة، ولكـن عـدت مدمنـا كـما كنـت وسأتسـابق معـا ونـرى مـن البطـل.

مـضى اليـوم مبهجـا بـكل مـا تحملـه الكلـمات، فتجمـع الأُسر لـه طعـم لا يستسـيغه إلا المحـب الفعـلي لأسرتـه والمشـتاق.

-إيلاف؟

- نعم يا خالتي .

-أنـا الآن سأسـتقر في مـصر إلى أن يكـبر يـزن ويصـير في المدرسـة و إن أراد الله لزوجـي البقـاء في قطـر فسـأنتقل إليـه.

- جيد ولكن ما دخلي في الموضوع أوضحي قليلا

- سـأنتقل للعيـش معكـم في المنـزل يكفـي السـنين التـي عشـتم فيهـا وحدكـم.

- خالتـي لا نريـد أن تعـب أحـد معنـا يكفـى مـا قمتـم بـه بعـد الحـادث.

- لم نقـم بشـئ، بـل نحـن مقـصرون، فأنا وخالـك تركنـاك، وجدتك كانـت تعتنـي بجـدك المريـض لذلـك كانـت ترفـض المبيـت.

-أعلـم هـذا جيـدا وكنـت أضعـه في عـين الاعتبـار، فجـدي بعـد وفـاة أمـي تأثـرت نفسـيته وتدهـورت حالتـه الصحيـة يكفيـه أنـه رأى فلـذة كبـده ماتـت قبلـه.

- إذا سـنذهب للبيـت نُسـلي بعضنـا أقـوم بأعـمال المنـزل وانـت تتفرغـين لتصاميمـك ولكـن هـذا لا يعنـي أن تتركينـي أعمـل وحـدي .

- هههههههههههههههه سأفكر في الأمر .

- هيا يا خفيفة الظل اذهبي من أمامي.

- هههههههههههههه حسنا.

***

ويبتسم القدر

إنه هو !!!!!! -

عن أي شئ تتحدثين !!!؟-

- إنـه هـو يـا جـدتي رقـم الدكتـورة التـي في القسـم إذًا أجيبـي بسرعـة يـا فتـاة -

- حسنا السلام عليكم؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته إيلاف أليس كذلك؟

- نعم أنا، هل حضرتك الدكتورة بلقيس؟

- نعم يا بنيتي اتصلت عليك لأخبرك أنني عرضت أعمالك على شركة التصاميم وتود أن تقوم بعمل مقابلة شخصية معك.

-أحقا ما تقولينه يا دكتورة؟!!

- نعم بالتأكيد.

- شكرا جزيلا لك.

لا تشكريني عزيزتي ولكن اثبتي نفسك في المقابلة.

إنها شركة تركية، ولا يوجد فرع للأسف في مصر فيأتي مندوبون عن الشركة ليختاروا الأفضل من بين المتقدمين وفقك الله.

- لدى استفسار؟

- تفضلي.

- هل يمكنني العمل معهم «أون لاين» بسبب ظروف الدراسة وبعد التخرج انتقل في الشركة؟

- أنا أخبرتهم عن جمال تصاميمك بحكم أني أعمل معهم فسيقدرون ظروفك بإذن الله .

- حسنا متى المقابلة؟

- الاثنين المقبل بإذن الله.

- حسنا شكرا جزيلا

- العفو في رعاية الله...

- ستكون المقابلة الاثنين القادم يا جدتي هل أنا أحلم؟

- لا يا حلوتي ليس حلما، بل هذا ما تستحقين، جعله الله باب رزق يا بنتي

إذا عليَّ الذهاب للبيت غدا لأجهز لهم الورق المطلوب وأفضل التصاميم لدي.

***

أمسك دفتره الخاص ليكتب رسالة إلى فتاة أحلامه كالمعتاد؛ فقد قرر أن يعطيه لمن تملك قلبه بعد أن يعقد قرانه، في البداية كانت فتاة مجهولة بالنسبة لقلبه، أما الآن فقد حطمت أسوار قلبه، لم يفصح عن اسمها في أي خاطرة خجلاً حتى بعد أن تملكت قلبه، يخشى ألا تكون من نصيبه فيشهد الدفتر والمحبرة على عشقه فقرر أن يُكَتِّم الهوى حتى عن عزيزة.

كتب هذه المرة الرسالة الخمسين:

- تعلمين أنت لا تقارنين بتلك النسوة .

«لا يمكن أن أضمك معهن في نون نسوة واحدة» **يوسف الدموكي**.

كلما سألت نفسي ماالذي يميزك عنهن؟ وجدتني أقول **«ويحك أتقارن الكل بالجزء»!**

- أتقارن الجمال بالجميل !

- «أرجوكِ لا تتغيري إني أحبك هكذا بعباءة وحجاب».

- لك مني تحية والسلام .

أغلق دفتره بعد أن أفرغ ما في جعبته من مشاعر واتجه ناحية القبلة ليصلي قيام الليل أطال في السجود قائلا:

- ربي إني أطلبها منك فأعطني سُؤلي،ربي إن كان لي ذنب يحول بيني وبين إجابتك فاغفره لي ، اللهم إني استعففت فأغنني من فضلك، اللهم أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك، اللهم يا جامع الناس في يوم لا ريب فيه اجمع بيني وبينها، اللهم إني أسألك بحق ادعوني أستجب لكم «، وبحق « أمن يجيب المضطر إذا دعاه» أن تجمعني بها عاجلا غير آجل، إنك سميع الدعاء، وصل اللهم على حبيبنا محمد وعلى أله وأصحابه أجمعين وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

ظل يستغفر ليكتب من المستغفرين بالأسحار حتى أذن الفجر وبعد أن أداها تمتم بالأذكار وخلد في نوم عميق .....

تمر أيام الأسبوع ويأتي يوم المقابلة الشخصية تهذبت إيلاف بفستانها ذي الأرضية السوداء المنقط بنقاط بيضاء صغيرة وارتدت حجابا أسود أظهر بياض بشرتها النقي، في كل حالاتها جميلة ولكن الأسود دائما ما يظهر الفتاة كملكة، لا تحب الألوان الصارخة فمن يرتديها يكون محط انتباه الجميع، أخذت تصاميمها واتجهت للمحطة لتركب القطار، كان هذا

نفس وقت عودتها من محل الأقمشة وبينما هي تهيئ نفسها للنزول إذ ترى إسلام ويراها، حدق ونظر طويلا وهي تبادله نفس التحديق، هو يحدق فرحا، وهي تحدق غيظا وتعجبا مما يفعله، رد فعل طبيعي من فتاة ترى شاب يحدق النظر.

هل يوجد شئ خاطئ في وجهي؟ لم هذا الأحمق ينظر؟

أشاحت وجهها بعيدا عنه ونزلت من القطار تحاول أن تتذكر أين ومتى رأت هذا المعتوه من قبل؟ وبعد أن ابتعدت قليلا سمعت اسمها يُنادى فأدارت وجهها فإذا هو ينادي عليها:

- ويعرف اسمي أيضا!!!!

هل تعرفني؟!-

- نعم أستاذة إيلاف ألا تتذكريني؟

- في الحقيقة لا أتذكر أين التقيت بك؟

- أنا إسلام الذي جاء مع والدته لتصممي لها الفستان.

- اااااااه تذكرت عذرا على النسيان.

- لا مشكلة ....-

- هل ترديني أن أخدمك في شئ؟

- صحيح أخبر أختك أنني عدت إلى المنزل فلتتفضل في أي وقت.

- حسنا سأخبرهم بالغد؟

- ولكن لم ناديتني؟!-

- كنت أظنك تريدين مساعدة.

تلعثمت قائلة:

- لا شكرا جزيلا عن إذنك فأنا مستعجلة.

ذهبت بسرعة فقد أخرها ذلك الأحمق كما سمته، دخلت المبنى ورحبت بها السكرتيرة وأجلستها لتنتظر دورها، بدأت علامات التوتر تظهر على وجهها فظلت تهدئ نفسها بالاستغفار، غفت قليلا على الكرسي ولم تفقق إلا على صوت أحدهم ينادي:

- إيلاف محمود محمد .

دخلت الغرفة وسلمت على منتدب الشركة والمترجم، طلب منها أن تعرفه عن نفسها.

فأخبرته بما تحب وتكره وما باستطاعتها الإبداع فيه وطاقتها القصوى في العمل ثم سألها:

- لماذا ترغبين في هذه الوظيفة؟

- لأنها فرصة لا تعوض .

- أخبريني عن خططك المستقبلية.

- أن يكون لي مشروعي الخاص.

فرد قائلا:

-أين؟في مصر!!

حاولت أن تظهر هدوءاً مصطنعا فقد أربكتها لغة جسده مما أدى إلى تشتت أفكارها، استجمعت بعض الأفكار وقالت:

- المشروع إن نجح فلا فارق إن كان في مصر أو غيرها، فالشركات ستستورد سواء في مصر أو في بلد آخر.

رد قائلا: أريني التصاميم من فضلك.

- تفضل.

أمعن النظر في كل صورة حاول أن يخفي قدر المستطاع إعجابه إلا أنها قرأت تعابير وجهه جيدا فتلاشى توترها.

- حسنا أستاذة إيلاف إن طلب منك في بعض الأوقات السفر إلى شركتنا فهل ستقبلين؟

- بالطبع ولكن بشرط أن يتوافق مع اختباراتي .

- نعم أستاذة إيلاف فنحن نقدر بالطبع .

خرجت وقد دبت روح الأمل فيها، شاكرة الله عز وجل على ما وهبها من نعم، فلولا الله لما نالت هذه الهبة.

- سيوفقني الله أنا متاكدة من ذلك .....

دخلت المنزل وقبَّلت خالتها وإيثار والتي دائما ما تتنظرها من شرفة النافذة، وبمجرد أن تهل في بداية الشارع تهتف إيثار

بسعادة وتفتح الباب منتظرة قدومها، أخبرت خالتها ما جرى في المقابلة فاستبشرت أخيرا وحكت لها ما جرى بينها وبين إسلام فخرت ضاحكة من تصرفاته الطفولية وقالت لها :

- لكنه يبدو عليه الشهامة والوسامة أليس كذلك؟

- لا أعلم ولكن عندما رأيته في محل الأقمشة أول مرة كان باديا عليه الوقار والخجل، أما اليوم فكأني أحادث طفلا في الروضة.

- يبدو أنك أحرجتيه بسؤالك لذلك تلبك المسكين هههههه حرام عليك.

- إن وُضِعتِ في نفس موقفي فماذا سيكون رد فعلك يا حضرة السلطانة كوسيم؟

- هههههه لا أعلم من الممكن أن يكون ردي أعنف منك أو أرق لا أدري ولكن عندما كنت في سنك كانت تصدر مني الحماقات فلا عليك ستكتسبين الخبرة من خالتك العزيزة.

- هههههه حسنا يا حضرة السطانة أتضور جوعا هل أكلتم؟

- لا في انتظارك يا فتاتي.

بعد تناول الغداء اتصلت نور صديقة إيلاف لتطمئن على ما فعلته في المقابلة فأخبرتها بما حدث بالضبط.

فقالت لها بكل سرور:

- ستُقبلين بإذن الله أنا أستبشر لك خيراً انبهار دكتورة القسم

كفيـل بهـذا.

- لم أخبرك على شئ آخر.

- هل عريس؟! قولي هيا هيا.

- حسبك يا فتاة ما كل هذا الهلع؟!

-إذا تحدثي وإلا في لمح البصر سأكون عندك لأقتلك.

- هههههـه حسـناً تذكريـن الأسـتاذ إسـلام الـذي حدثتـك عنـه أثنـاء شرائـي الأقمشـة؟

- إسـلام (نحانيـح) أليـس كذلـك؟ منـذ أن طلـب منـك تصميـم فسـتان لوالدتـه وأنـا أشـك في أمـر هـذا الفتـى أطربينـي مـاذا بـه؟

- هههههـه قابلنـي اليـوم ونـادى عـليَّ، ولمـا سـألته عـن سـبب النـداء تلبـك وقـال إنـه يحسـبني أود المسـاعدة.

- وأنت بالطبع كبلهاء صدقته!

- لا أعلم لم أضع احتمالا لشئ آخر.

- وراءه شـئ وسـتقولين إن صديقتـي قالـت إن حـدث شـئ جديـد وافنـي بالتطـورات.

- حسنا في رعاية الله.

***

- هيا يا سندس حتى لا نتأخر على الموعد

لماذا لم تنهي بعد هذه الفتاة يا أمي؟

- أستتعرف اليوم على أختك؟

- ليس التأخير بهذه الطريقة!

- ها قد انتهيت بسرعة لا تثرثر يا إسلام.

- هل كنتِ متعمدة؟

- بصرا حة أجل هههههه.

- أليس من حقي أن أرى أخي متلهفا لرؤية فتاته التي يعشقها؟

- سندس أكررها لك اتق شر الحليم إذا غضب.

- كنت أمزح.

غمزتها والدتها أن تصمت حتى لا تثير أخاها، وأخيرا قد اقتربوا من بيت إيلاف المكون من طابقين، تبدو عليه الفخامة والعراقة، به حديقة تحفها الأشجار من كل جانب، تعمل عمل السور ومن الداخل قسم للزهور، إذا نظرت من شرفة النافذة يسحرك منظرها، مقسمة الأرض للشكل الهندسي(المعين) لكل نوع من الزهور، الأول يحتوي على زهر البنفسج ذي الرائحة العطرة، والثاني يحتوي على الورد الجوري ذي اللون الأحمر القرمزي الجذاب والرائحة العبقة قد هيئت له إيلاف ظروفه الخاصة لينمو بإشراق دون ذبول، وباب الحديقة من خشب السنديان المائل للاحمرار قليلا، وبه أشكال مفرغة نجمية

زادتـه جمـالاً، قصـير يُظهـر لـك السـلالم التـي تـؤدي لبـاب البيـت الرئيـسي، أبهـر سـندس المنظـر العـام فسـألت إسـلام متعجبـة:

- لم تعمل ويبدو عليهم الغنى والترف؟

- لا أعلم يا سندس.

لم ينـس حبيبتـه الصغـيرة فقـد اشـترى لهـا كيسـا مليئـا بالسـكاكر وبأنـواع مـن الشـيكولاته اللذيـذة.

رن الجـرس ففتـح صهيـب ورحـب بهـم، انتشـل صـوت إسـلام إيشـار مـن وسـط ألعابهـا، فجـرت نحـوه واحتضنتـه فقـد صـار صديقهـا المفضـل.

- أهلا بأميرتي المشاكسة.

-أهلا بك يا صديقي لم تأتِ منذ مدة ظننتك نسيتني.

- وكيف لي ان أنساك انظري ماذا اشتريت لك.

- اااااااااااااااه شـكرا جزيـلا لـك أصبحـت أحبـك كثـيرا الآن، لم أكـن أعلـم أنـك لطيـف.

أعجبـت سـندس بجمالهـا وبطريقتهـا في الحديـث فالكلـمات تخـرج مـن ثغرهـا كحبـات اللؤلـؤ، أخذتهـا مـن بـين أحضـان إسـلام وقبلتهـا قائلـة:

- أتعرفين اسمي؟

- لا فأنا لم أرك من قبل.

- أنا سندس أخت إسلام.

- وانا إيثار .... هل ستكونين صديقتي مثل إسلام؟

- بالطبع يا صغيرتي.

قبلت وجنتها ودخلوا الغرفة رحبت بهم إيلاف، انشرح صدر سندس من وجهها الباسم فأخذت الانطباع الأول عنها أنها رقيقة وذات قلب طيب، بعد السلام والترحاب أعطت إيلاف التصاميم لسندس لترى ما يناسبها وأثناء تفحصها التصاميم تحدثت مع إيلاف قائلة:

- في أي سنة في الجامعة يا إيلاف؟

- في الفرقة الثالثة بعد إعدادي.

- هل أنت مهندسة؟

- لا أنا في كلية الفنون قسم الأزياء.

- رائع من الجميل أن يربط المرء مواهبه بمجال تعليمه.

- نعم سيبدع في ذلك .....

- وانت في أي سنة؟

- في السنة الرابعة كلية القانون بالإنجليزية.

- رائع عليكِ الاجتهاد لتكوني مترجمة دولية.

- أحاول قدر المستطاع والله الموفق.

- أجل ونعم بالله.

-أعجبك شيء من التصاميم أم تريدين شيئا من خيالك وأنا أصممه لك؟

- لا أنا فقط محتارة؛ فجميعهم رائع ساعديني في الاختيار من فضلك.

- بكل سرور ..أنت ممشوقة القوام ستليق عليك الكثير من التصاميم، ارشح لك هذا لم أصممه لأحد من قبل لكنه مناسب لك حقا، انظري إلى الأكمام سأضع لك على مقدمتها كريستال، وسأظهر لك عند الخصر هذه الكرمشات المتتالية، وستكون فتحة الرقبة على شكل الرقم ٧ ممتدة بعض الشيء، وسيكون واسعا جدا بسبب الكرمشات التي بعد الخصر، ولكن لن يظهر عليه فسيربحك جدا في ارتدائه.

- تخيلت نفسي وانا مرتدية إياه كم هو جميل أوافق عليه .

- بإذن الله سيعجبك.

دخلت عليهم جدة إيلاف وخالتها لتتسامرا مع والدة سندس، فسمعت بعضا من حوارهم حيث سألت جدتها:

- هل انت والدة إيلاف؟

سمعتها إيلاف فامتلأت مقلتاها دموعا وخرجت من الغرفة لكي لا تسمتع لحديثهم.

- لا أنا جدتها لأمها، فقد توفي والدهما في حادث أليم تسبب في هلاك هذا البيت الدافئ.

وضعت سندس يدها على فمها من دهشتها مما سمعت،

جلست القرفصاء وطلبت من الجدة أن تحكي ما جرى.

- أخاف أن تسمع الحديث فيزداد نحيب حفيدتي الصغيرة وهي أغلى ما تركت والدتها لي.

المسكينة قد انجرحت كثيرا إلا أن ابتسامتها لا تفارق محياها، قوية ومتفائلة لا تسمح للحزن أن يتمادى، تدفنه لتظهر أقوى، أعلم أنها تبكي دما على والديها لكنها كتومة، تؤمن أنه في يوم ستشرق لها صفحات الأمل لتمحو سواد الألم، متعلقة بإخوتها تفيدهم حتى بروحها لولاها بعد الله لما عاد أخوتها يضحكون للدنيا، أجهش الجميع، فياسمين ووالدتها جراحهما لا تتحمل الفتح من جديد وسندس ووالدتها مصدومتان، فمن في مثل عمر إيلاف يتحمل مثل هذا الابتلاء.

قالت سندس: كم أنت عظيمة يا إيلاف فلولا قوة إيمانك التي ترسخت فيكِ منذ الصغر لما تحملتِ هذا البلاء.

كفكت دموعها وتظاهرت بالابتسام، لكن وجهها كان ينطق حزنا وانكسارا، لاحظه الجميع، في الغرفة الأخرى كان إسلام يتسامر مع صهيب فقد تصاحبا وعرفا الكثير عن بعضهما، بعدها دخل حمزة عليهم كان أول مرة يلتقي به صافحه وعرَّف كل واحد نفسه إلا أنه لم تسنح له الفرصة أن يخبره في أي كلية؛ فقد نادت الأم على ولدها للرحيل، وعند توديعهم لاحظ إسلام ذبول جفنيها فسألها بدون ألقاب:

- هل أنت بخير يا إيلاف؟

لا يعلم من أين أتت له تلك الجراءة؟!

تسمرت في مكانها وعُقد لسانها فقط اكتفت بالتحديق له، أحس بضيقها فاعتذر عن تصرفه، عند الخروج من البيت نظرت الأم لسندس نظرات فهمت من خلالها أن والدتها تود القول إن ولدي قد وقع في شباك حب إيلاف، فبادلتها بنظرات التصديق، ظلا صامتتين ليثيرا فضوله أكثر حول ما جرى مع إيلاف.

- احم احم أمي لم كل هذا الصمت ألا تعلمان أن فضولي يقتلني حول ما جرى؟

نظرتا لبعضهما وعلامات النصر في عينيهما.

- يبدو يا ولدي أن فتاة أحلامك قد عانت كثيرا.

- كيف؟ قالها باهتمام.

- قد تُوفي والداها في حادث منذ حوالي أربعة أعوام، وكانت هي الداعم النفسي لأخوتها على الرغم من اعتصار قلبها إلا أنها كانت ثابتةً راسخة مثل الجبال.

- لقد قلت لنفسي أن لهذه الفتاة قلبا هشا ولكن يرفض السقوط لأنه متكأً لأحدهم.

- سبحان من لم يزرع فيها اليأس .

- وهل عرفتما شيئا بخصوصها؟

قالت سندس إنها في السنة الثالثة بعد الإعدادي من كلية الفنون قسم الأزياء، ويكفي انك تعرف اسمها ثلاثيا، من السهل لك أن تعرف عنها الكثير.

- حسنا ولكن لا يعني هذا أني لن أحتاجك.

- وهل لك أن تستغنى عني؟!

- يالكل هذه الثقة لست خبيرا في التعامل مع الفتيات لذلك سأضطر آسفا إلى مساعدتك.

- هههههه كما تريد يا جنرال.

***

«الرسالة الواحدة والخمسون»:

تعلمين!!!

لم أخبر أحداً بكِ لكنكِ تفيضين من عينيَّ

خبَتُك جيداً لكن لمحوكِ على وجهي

ماذا عساي أن أفعل، فالمشاعر فضاحة .

يوم جديد مع أمل جديد يدب فينا الروح ...

استيقظ البطل باكرا لذهابه إلى الجامعة؛ فقد تم استدعاؤه لأمر التعيين، توضأ وصلى صلاة الضحى حامدا الله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، طالبا من الله التيسير، ارتدى بزة كحلية اللون أظهرت أناقته، وبنطال جينس، هذب لحيته الخفيفة

ومشـط شـعره البنـي الانسـيابي، وارتـدى حـذاءه الريـاضي الأنيـق ثـم سـأل والدتـه:

- كيف أبدو يا أمي؟

- شابا عريضا المنكبين تُفتن بك الفتيات.

- ليس لهذه الدرجة يا أمي!

- يكفي رجولتك التي تفوح منك يا ولدي .

- شـكرا لـك يـا أمـي عـلى هـذه الطاقـة الإيجابيـة التـي أمددتنـي بهـا.

قبَّـل يدهـا وأفطـر سريعـا واتجـه إلى الجامعـة، دخـل كليتـه واتجـه بالمصعـد إلى مكتـب العميـد.

- السلام عليكم كيف حالك يا دكتور؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته تفضل يا إسلام.

- اتصلوا بي من الإدارة بخصوص أمر التعيين.

- نعم فأنت مستوفي الشروط ماشاء الله.

- هذا كرم منك أستاذنا الفاضل تفضل الورق الذي تم طلبه

- وأنت خذ وقع هنا يا إسلام.

بعـد أن انتهـى مـن الإجـراءات اتجـه إلى كليـة الفنـون الجميلـة ليسـأل عـن إيـلاف في شـؤون الطـلاب.

- السلام عليكم .

ردوا جميعا: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته تفضل؟

- من منكم يتولى طلاب قسم الأزياء؟

ردت سيدة ثلاثينية: أنا يا أستاذ تفضل.

- شكراً لك ...امممممم كنت أريد منك خدمة إنسانية إن قدمتها لي سأكون ممتنا لك.

- إن كان بوسعي فلن أتأخر.

- لديكم طالبة في قسم الأزياء في السنة الثالثة تُدعى إيلاف محمود محمد.

- آه أعرفها إيلاف ذات الوجه الملائكي .

- إذًا فأنت تعرفينها جيدا

- بالطبع ولكن لم السؤال؟!

- أخبرتك أنه عمل إنساني ... أود خطبتها فأريد منك معلومات عنها .

- ولكن هذه أمانة لايمكن أن أبوح لك إلا بموافقتها.

- لن أستخدم المعلومات ضدها، إنني أود خطبتها .

- اسمعني إذًا إن كنت تود معرفة ما إن كانت سمعتها طيبة أم غير ذلك، فسيفيدك العم جمال لأنني هنا لا أملك سوى اسمها وسكنها وحالتها الاجتماعية وما إلى ذلك وكل هذا أنت تعلمه.

- نعم معك حق ... وأين هو العم جمال؟

- إنه في الأتيليه يقدم للطلاب المشروبات.

- حسنا أشكرك آسف لأخذي من وقتك.

- لا شكر على واجب أتمنى أن يفيدك.

اتجه إلى الأتيليه وهو عبارة عن ورشة عمل للطلاب واسعة جدا، قابل رجل في سن والده فحياه قائلا:

- السلام عليكم هل أنت عم جمال؟

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .. أجل يا بني تفضل.

- هل إن سألتك عن طالبة ستجيبني بصدق؟

- إن كنت أعرفها جيدا بالطبع سأخبرك، ولكن أعلم أولاً سبب سؤالك فهن بناتي.

- أود أن أخطب الآنسة إيلاف محمود أحمد هل تعرفها جيداً؟

- يا الله هل من أحد لا يعرف الأستاذة إيلاف؟!

إن كنت تريد أن تعرف أخلاقها فهي أخلاق فتاة تربت على نهج رسول الله وأمهات المؤمنين طاهرة، نقية، حيية، يحبها الجميع ويشهد الله على قولي، يكفي أنها سمعتني صدفةً أتحدث في الهاتف عن الدَّين الذي لم أقدر سداده فجمعت المبلغ وأرسلته مع ابني قائلة له: إنني اقترضت من والدك هذا المبلغ فبلغه شكري وامتناني، لكي يقبل ابني الصغير أن يوصله، وصف لي ابني ملامحها فعرفت أنها هي، ودائما إن غبت عن

عملي في يوم تسأل: هل من مكروه أصابني؟ وتطمئن في اليوم التالي، حفظها الرحمن من كل سوء إن كنت حقا تريد إيلاف زوجة فهنيئا لك يا ولدي، فأمثالها نادرون، ستكون حقا نِعم الأم، من مثلها سينشئ جيلا طيباً يُقتدى به، توكل على الله.

كاد قلبه أن يطير من بين ضلوعه من فرط السعادة؛ ففي كل مرة يعرف عنها شيئا فتقتحم قلبه وتترسخ فيه، شكر العم جمال بحرارة وطلب منه أن يدع له أن يجمعه بها في خير، في ذلك الوقت كانت أمه تتصل على هاتفه لكي تطمئن ماذا فعل ولكنه لم يسمع الهاتف، ازداد قلقها عليه؛ فهو إن تأخر يُعلمها لما كل هذا التأخير، اكفهر النهار وأقبل الليل ولم يعد إسلام بعد.

ذهبت لتجهز طعام العشاء وإذ به يدخل:

- إسلام يا ولدي ألم تسمع الهاتف؟ ألم ترى المكالمات الفائتة؟ أم أنك تفرح بهذا أجبني.

- أعتذر جدا يا أمي لم أمسك الهاتف اليوم إطلاقا، فقد كان على وضع الصامت عند دخولي لمكتب العميد ولم أغير الوضع، وبعدها ذهبت لكلية إيلاف لأسأل عنها، ومن ثم ذهبت إلى الكورنيش لأشم بعض الهواء النقي.

- إذًا تكلم في حضور الجميع فأبوك اليوم بحمد الله قد استطاع أن يقف ويتحدث لذلك اتصلت عليك مراراً لأبشرك بهذا الخبر الجميل.

- حقا يا أمي؟! لك الحمد يا الله كم أنا سعيد اليوم يا أمي، فأخبار جميلة متتالية يجب أن يُسجل في الذاكرة، سأدخل

لأقبل والدي فقد أوحشني الحديث معه.

- لا أوحش الله لك قلبا ولا قبرا يا عزيزي.

دخل لغرفة والده فرأه رافعا سبابته فعلم أنه يصلي، وبعد أن فرغ من الصلاة قبَّل يده بحرارة مما جعل والده يُربت على كتفه .

- كيف أنت يا ولدي .... بخير؟

- إنه أفضل يوم في حياتي يا أبي اشتقت لصوتك الحاني، نصائحك، توبيخك لي، لم أجد بعدك من يشد أزري، حمد لله على أن صحتك بدأت تتحسن.

- ياااااااه اشتقت أنا أيضا لنبرات صوتك يا بني احك ما في جعبتك فلديك الكثير والكثير.

- سنجتمع في غرفتك بعد أن تتناول الدواء وأحكي لكم ما جرى اليوم بالتفصيل.

تناولوا العشاء وبعدها أعطت الأم لزوجها الدواء والسرور يملأ عينيها فهاقد دبت الروح من جديد في زوجها التي طالما دعت الله أن يهرما معا.

- هيا يا إسلام تحدث، قالها الأب.

- تمت الموافقة على تعييني اليوم في الجامعة ولله الحمد وبعدها ذهبت لأسأل عن فتاة أود خطبتها وقد قيل لي ما يفرح القلب، كانت أمي تحكي لك ولكنك كنت مريضا فلا تستطيع مجاراتها في الحديث فما رأيك الآن؟

- موافق وبشدة يا بني فأنت من يقرر من تكون شريكة حياتك.

غمزت له سندس قائلة:

- أريد التفاصيل.

- صبرا.

ردد الوالدان:

- فليكتب الله لك الخير حيثما كان وأينما كان .

- اللهم آمين .... هيا استرح الآن يا أبي وأنا سأذهب للنوم تصبحون على خير.

ذهب لغرفته فإذا بسندس تقول:

- لن تتهرب مني هذه المرة أخبرني هيا.

-قالت لي موظفة الشؤون أنها لا يجوز إخراج معلومات عن طلابها إلا بإذنهم، ولكن دلتني على عامل يُسمى عم جمال اتجهت إليه وبمجرد أن أخبرته عن اسمها، انشرح صدره وبدأ يحكي عن أخلاقها ومعاملاتها وكان وقتها قلبي يرقص فرحا لما تطرب له أذناي فقد اخترت الفتاة الصحيحة، اتركيني الآن فأنا خارج نطاق الخدمة.

- أفرحتني كثيراً .... حسنا لنا حديث آخر.

***

الرسالة الثانية والخمسون:

إنه اليوم الذي اختلفت فيه كل الموازين، تركتِ اليوم بصمة عميقة على شغاف قلبي، عفافك الذي يحلف به كل من سألته عنك، حياؤك، تعاملاتك، أنت فتاة رائعة اختلفتِ عنهن.

لن أتردد الآن في كتابتها أُحِبُكِ.

***

صباح مليء بالحماس الممتزج بالرضا .....

صلت الفجر ورددت الأذكار، حاولت النوم إلا أنها لم تستطع، ارتدت وشاحها الأسود المُطعم بحبات اللؤلؤ على جانبيه، ومن ثم وضعت الغطاء على رأسها ليظهرها كأميرة من أيام الدولة العثمانية، كان هذا الوشاح آخر هدية لها من والدتها، خرجت إلى حديقة المنزل لتستنشق عبير الورود ونسائم الهواء البارد، أخيرا فركت عينيها وتثاءبت، استلقت على السرير، أغمضت عينيها، ولم تشعر بنفسها إلا الساعة التاسعة صباحاً عندما رن هاتفها من رقم دولي، أمسكت الهاتف لترد:

- السلام عليكم ..من معي؟

- وعليكم السلام ..آنسة إيلاف؟

- نعم أنا.

- تم قبولك في الشركة ياآنسة إيلاف . هنيئا لكِ.

- حقا!!!!

- بالطبع .. نود فقط أن ترسلي لنا بياناتك التي أخبرناكِ بها إن تم القبول، عن طريق بريدك الإلكتروني الآن، لنرسلها إلى حساب الشركة ليقوموا بعمل ملف خاص بكِ، لضمان أعمالك، ومرتبك وما إلى ذلك.

- بالطبع سأرسلها لك الآن.

أغلقت الهاتف وفتحت جهازها سريعا وأرسلت البيانات إليهم .

نادت على خالتها ياسمين سريعا قائلة لها:

- خالتي انظري تم إرسال عقد العمل من الشركة أنا غير مصدقة .. يااا الله؟!

- مبارك يا حبيبتي وفقك الله في وظيفتك وأعانك الله عليها ونفعك بها.

- اللهم آمين.

وفي نفس ذات الوقت اتصلت لجنة التحكيم بصهيب وأعلمته أنه قد فاز في المسابقة وأنه ستقام حفلة تكريمية للفائزين على مستوى المحافظة، ذهب كل منهما للآخر ليعلمه فتقابلا في غرفة الاستقبال وقالا معا :

- ماذا يجري؟!

علت ضحكاتهم ثم قال لها صهيب أخبريني أنت أولا؟

- قد قُبلت في العمل.

- حقا!!!!! وأنا فزت في المسابقة وستقام حفلة تكريمية بعد غد للفائزين وسنذهب جميعًا

- احتضنته من فرط السعادة قائلة: مبارك لك هذا التميز الذي طالما عرفتك به والنجاح الذي أنت له

- ومبارك لك يا أختي العزيزة، بالتوفيق.

- اتصلت إيلاف لتعلم نور أنها قد قبلت في العمل وتتدعوها لحضور حفل صهيب فقد اشتاقت إليها كثيرا.

***

استعدت العائلة لحضور الحفلة، إيلاف ارتدت فستانا وردي اللون غير متكلف وبسيط، وألبست إيثار فستانا له نفس لون فستانها، وارتدى كل من حمزة وصهيب بزة كحلية اللون، ركبوا سيارة حمزة الجديدة واتجهوا إلى الحفلة، عند وصولهم وجدت إيلاف نورًا منتظرة إياها حتى لا تدخل الحفل وحدها، احتضنتها بشوق كبير فمنذ شهر لم يتقابلا، جلستا على المقاعد وظلتا تتسامران إلى أن قالت نور فجأة:

- من هذا الذي ينظر إليك وكأنه يعرفك جيداً؟

قالت إيلاف بارتباك:

- أين؟!

- انظري يمينا قليلا، يرتدي تيشيرت أحمر .

- ياللهول ماذا يفعل هذا هنا، أيلاحقني في كل مكان أم ماذا؟!

قالت نور باندهاش!:

- أتعرفيه؟! من هو؟

- إسلام الذي أخبرتك عنه.

- يا إلهي، إنه وسيم جدا.

- غضي الطرف يا نور، كفاكي عبثا.

- لم أقصد ولكن شكله ملفت أليس كذلك؟

- دعينا من شكله الآن، ما الذي يفعله هنا؟

-ربما لديه صديق هنا.

إسلام لم يكن له أصدقاء إلا القليل، ولكن هذا صديق عمره ورفيق دربه منذ الصغر لم تفرقهما الجامعة، ظلا متحابين وسيظلان متحابين، هكذا كان عهدهما، لا يفرقهما إلا الموت، إنه صديقه الصدوق أحمد، قد فازت أخته الصغيرة حنين التي لم تتجاوز الحادية عشرة من عمرها فأخبر صديقه المقرب إسلام أن يحضر الحفل فلبى طلبه، فرح إسلام لكثرة مقابلته إيلاف بدون موعد، قالها في نفسه: «اهدأ أيها القلب المتمرد فأنت لا تخفق إلا في وجودها سينفضح أمرك».

وكزه صاحبه قائلاً:

- هيييييييي أذهبت في عمرة أم ماذا؟!

- ماذا قلت !

- أحادثك وانت سابح في خيالك قلي بربك ماذا بك؟

- لا شيء يا فتى، قالها ممتعضا.

- إذا دعنا نجلس قبل أن يكتظ المكان بالحضور.

بعد أن جلسا وتجاذبا أطراف الحديث أحس بألم شديد في بطنه فأخذه أحمد سريعا إلى الحمام في نفس الوقت كانت نور ذاهبة للحمام فرأته وهو يتلوى من شده الألم فأشفقت لحاله، وعند خروجها كان هو أيضا خارجا فرآها، إستأذنها ليخبرها شيئاً، استغربت لأمره فهو ليس في حالة تسمح له بالحديث، ولكن قبلت لأنها تعلم أنه سيخبرها شيئا بخصوص إيلاف

فقال لها:

- أعتذر على ما أقوم به ولكني مضطر .

- لا عليك، تفضل

-لا تسيئ الفهم، فعندما رأيتني أنظر لإيلاف كنت مستغربا فقط أنها من الحضور، فأنا أعرفها جيدا

- كيف تعرفها جيدا ألست مجرد زبون عندها؟

- نعم بدأت القصة أني زبون عندها أما الآن فأريدها زوجة لي؟

قال أحمد ونور في صوت واحد: ماذا !!!!!!

- لم تخبرني يا صاحبي أن هناك من دقت على أوتار قلبك، ألست رفيقك؟

- ليس هذا هو الوقت يا صديقي، سأخبرك التفاصيل فيما بعد، ولكن... سكت قليلا لأنه لا يعلم اسمها ثم قال لها

- أعتذر ما اسمك؟

- اسمي نور

- أهلا بكِ يا أستاذة، رأيت الأستاذة نور وسيط مناسب بيننا، أود منك أن تخبريها أنني أريد خطبتها ولكن ليس الآن، عندما أرسل لك خبرا

-ولماذا لا تذهب إلى المنزل مباشرة وتخطبها؟

-أريد أن أمهد في البداية

- وكيف ستعلمني أنك في الوقت المعين ستخطبها؟

- سأعطيكي رقم هاتفي، وأعطني إن أمكن رقم هاتفك لأخبرك، لا تخافي لست فتى لعوب

- أعرف

تبادلوا أرقام الهواتف واتجهت نور إلى صديقتها فقد تأخرت عليها، من الجميل جدا أن يكون لكِ شاب يخفق قلبه في وجودك ولا يخفق إلا لكِ أنت، يستعفف عن كل الفتيات من أجلك أنتِ فقط، يدع الله في كل سجدة أن تكوني الأخت والأم والزوجة والصديقة له، تكوني مسكنه الذي لا يسكن ألمه وضعفه إلا في فيه، هكذا كانت تفكر نور، دعت الله أن يكون لها مثل هذا الشاب.

وصلت وعلامات الفرحة والبهجة مرتسمة على شفتيها فاستغربتها إيلاف وقالت لها:

- لم كل هذا الفرح؟!، لست مطمئنة لك

- أتعلمين، رأيت إسلام يتألم من بطنه وكان يستند على صاحبه، مسكين.

- شفاه الله وعافاه، ولكن ما دخلنا نحن؟!

- لم هذا الجحود تعاطفي معه ولو لمرة واحدة فهو إنسان في النهاية.

- لا أنكر أبدا أنه شاب مهذب وقمة في الأخلاق ولكن تصدر منه بعض الحماقات كالتي كانت منذ قليل

- ربما يكون معجبا بكِ، ما المشكلة؟

- يعجب !!! ترك كل الفتيات وسيعجب بي أنا!!

- ولم لا فأنتِ مميزة في كل شئ وألف شاب يتمناكِ، أنستك الإجازة كمية المعجبين؟

- لا تذكريني بهؤلاء الحمقى أرجوكِ.

- إن تقدم لك شاب في أخلاق إسلام في هذا السن هل ستوافقين؟

- لم هذا السؤال الآن يا نور؟

- خطر في بالي هيا جاوبي؟

- لست في حالة تؤهلني للارتباط بزوج يا نور.

- لماذا يا إيلاف فهذا ما تتمناه كل فتاة، شاب يصونها، يحميها، يحبها، ويكون أنيسها في كبرها ويهرمان معاً.

- لست مستعدة بأن أحب شخصا فأتعلق به ومن ثم يموت، أو أن أحبه ويخدعني في فترة الخطوبة وبعد الزواج ينغص حياتي، يكفيني ما عشته.

- هذه سُنة الحياة يا إيلاف، ألم تحبي طريقة معاملة والديك لبعضهما؟ ألم تكن بينهما مودة ورحمة؟ ألم يعشق والدك والدتك؟ ألم تري كيف يصالحها إن تم بينهما خلاف؟

- ليتني أجد من يعاملني بمثل ما عامل أبي أمي.

- ستجدينه ولكن لا ترفضي أحدا من دون أن تعطيه فرصة .

- لا أعرف ولكن ما زلت صغيرة ولن أترك إخوتي هكذا، وإيثار شديدة التعلق بي، كيف يهون عليَّ تركها!!

- سيدبر الله كل شيء، لاتعقدي الأمور قبل أوانها، انظري ها هم سيقدمون الهدايا للفائزين.

مسكت إيلاف الكاميرا لتصور لحظة استلام صهيب الجائزة، وبمجرد أن نودي اسمه اتجهت إلى خشبة المسرح لتلتقط له صورا تذكارية مع المسؤولين، وأخذت صورا عائلية، كل هذا ويراقب إسلام تلك الروح الجميلة البريئة، ظل يردد في خياله:

«لو أنني أستطيع اختيار من حولي لجعلت وجهك عن يميني وعن شمالي».

تسلمت حنين هي الأخرى جائزتها، التقط معها الشابان الصور التذكارية وأهداها أحمد العروسة الناطقة التي طالما كانت تحلم بها، لمحت إيلاف إسلام وهو يداعب الصغيرة فعلمت أنه جاء من أجلها فسكنت روحها قليلاً، ولكنها ما زالت تستغرب تلك النظرات الغريبة الصادرة منه، أحقاً يكون معجباً كما قالت لها نور؟ أم أنها نظرات عابرة لا يقصد بها شيئا؟

اشتدت بها الهواجس إلا أنها سريعا ما نفضتها، لا تريد لعقلها أن ينشغل بتلك الأمور، انتهى الحفل بسلام ورجع كل واحد إلى داره، وصل إسلام فوجد الكل غارقا في نومه، فقرر عدم إصدار أي صوت حتى لا يستيقظوا، بدَّل ملابسه، ودخل بعدها ليستحم حتى يسترخي قليلاً، قرر بعدها أن يكتب شيئا في دفتره؛ ففي كل مرة يراها تتخبط مشاعره، ولا تهدأ روحه إلا بعد أن يفضي ما به إلى الأوراق.

كتب: الرسالة الثالثة والخمسون

أأخبرك بسر؟!

«يظل وجه الحبيب جديدا على كل نظرة من محبه وإن طال ترداد النظر وتكراره» الرافعي.

«ومن بعض هذا السر تلك الابتسامة الواقعة على ثغرك ترق فيها الروح مرة وتتكاثف مرة حتى كأنها وهي في الرسم، لون روحي ظهر ليتموج على شفتيك فما أقلب فيه عينيَّ إلا شعرت أن روحي تذوب فيه كما يتمازج لونان في السماء على الشفق الأحمر .«الرافعي».

ها هي إجازة الصيف تنتهي ويستقبل الجميع عاما دراسيا جديدا، تملؤهم الهمة والنشاط، ها هو حمزة متحمس للغاية فقد صار فتى جامعيا يُعتمد عليه، وها هي إيلاف أوشكت على التخرج، ففي كل عام تقترب من حلمها أكثر، وهذا ما يزيد من إصرارها على التفوق في الجامعة، وها هي إيثار تغمرها الفرحة، فهذا اليوم الأول في حياتها التي ترتدي فيه زي الروضة، أحست أنها أصبحت كبيرة مثل أخوتها ولديها مشغوليات مثلهم، أما صهيب فلم يكن متحمسا كأخوته، فهو في المرحلة المتوسطة، جميع من في سنه لا يحبذ المدرسة إطلاقا، لا يحبون القيود التي تفرضها عليهم المدرسة من القدوم باكرا، حلق الشعر، قص الأظافر وما إلى ذلك.

بعد أن تجهز الجميع للذهاب تحدثت إيلاف مع صهيب قائلة:

- لا تترك إيثار، كن كظلها؛ فهي ما تزال صغيرة، لا تدرك خطورة السيارات، وأخبر معلمتها أنك أنت الوحيد الذي سيأتي لاصطحابها إلى المنزل وخذ رقمها لأتواصل معها.

- حسناً.

إسلام يشعر بالرهبة؛ فهذا يوم تعيينه الأول، لا يدري هل سيكون أهلاً للتدريس في الجامعة أم لا، هل سيوصل المعلومة للطلاب بطريقة تحبب إليَّ نفوسهم، ردد بصوت قد يكون مسموعا بعض الشيء.

- وفقني فيما اخترت لي يا الله لما تحب وترضا.

تجهزت سندس هي الأخرى ونادت على إسلام لترافقه إلى الجامعة، وبينما هما في الطريق قالت سندس:

- لم تخبرني الأسبوع الماضي عما جرى في حفل التكريم؟

- وما ذنبي أنك كنتِ طوال الأسبوع عند جدي.

- هيا لا تثقل دمك تكلم.

ضحك ساخراً وقال:

- حسنا حسنا، قد جرت أحداث كثيرة في ذلك اليوم الجميل.

- لا تقلها! هل رأيت إيلاف؟

- وكيف عرفتِ؟

- تتغير نبرة صوتك عندما يتعلق الحديث بإيلاف؟!

- محامية بارعة، نعم كان صهيب مشتركا في المسابقة ووفقه الله وأخذ مركزا على مستوى المحافظة.

- ماشاء الله، لكن أريد المفيد من فضلك.

- رأيتها في البداية، ولكنها لم تراني، وكانت بجوارها فتاة استغربت نظراتي فأشارت لإيلاف فنظرت إلي، اندهشت من وجودي، ومن ثم غضت الطرف سريعا، تحدثت مع هذه الفتاة لوهلة فأعادت النظر إليَّ مرة أخرى فعرفت أنهما يتحدثان عني، ابتسمت وسبحت في خيالي الذي دائما ما يوقعني في المشاكل .

- من التي نظرت إليك ثانية؟

- صديقتها.

- بعدها أحسست بألم شديد في بطني فتوجهت للحمام وبعد أن خرجت لمحت صديقتها فأستأذنتها للحديث قليلا، عرفتها بنفسي وأخبرتها عن سبب تحديقي في إيلاف، وبعدها أخبرتها أنني أود أن أخطبها.

- وهل أخبرتها يا ترى؟

- لا، ليس الآن، قلت لها إنني سأعلمك قبلها قبل أن تخبريها.

- جميل، يسر الله لك الأمر يا أخي.

- رددها دائما يا سندس بربك.

- بإذن الله.

دلف كل منهما إلى الجامعة، أدخل أخته إلى المدرج ليطمئن هل وجدت مكانا مريحاً لها بعيداً عن الشباب غير المهذب، لأنه من المعروف أن كلية الحقوق والتجارة الأعداد فيها مهولة، ومن ثم اتجه إلى كليته ليرى طلابه فى السنة الأولى.

***

ترجل كل من حمزة و إيلاف من السيارة، أصر ألا يترك أخته إلا بعد أن يشتري لها مستلزمات الكلية، أثناء التقديم أخذته في جولة داخل الحرم الجامعي ليعرف مكان كل كليه، لذلك كان من السهل عليه الذهاب لكليته بمفرده، أخذ المحاضرة الأولى

وشعر بالنعاس، فلم يعتد بعد على عدد الساعات الطويلة في المحاضرات، وبعد ان انتهت ذهب ليأكل شيئا من الكافتيريا، وبعد شرائه تفاجئ بوجود إسلام، هو يتذكر تلك الملامح ولكن أين رآه؟! لا يتذكر، عصر دماغه جيدا ليتذكر، ثم ضرب جبينه قائلاً:

- لقد تذكرت إنه إسلام.

حينها كان إسلام قادما نحوه مبتسما .

- من المؤكد انه يتذكرني، الحمد لله أنني تذكرته قبل وصوله.

جاءه إسلام وحياه، سلم عليه ودار بينهما هذا الحديث:

- كيف حالك؟ هل أعجبتك المحاضرة الأولى؟

- شعرت بنعاس شديد، ألم تخبرني أنك خريج.

- نعم بالفعل أنا خريج.

- وما الذي أتى بك مبكرا هكذا؟

- تم تعييني معيدا، ألم أخبرك؟

- ماشاء الله، لا لم تخبرني.

-إذا احتجت شيئا فلا تتردد، فستكون تلميذي هذه السنة.

- جميل، لن أتردد لا تقلق، سعدت كثيرا لأمر تعيينك.

- شكرا جزيلا لك يا حبيب، هيا اذهب سريعا لمبنى المعامل فأنا من سيدخل لكم الآن، ولا أحب التأخير.

ضحك حمزة من طريقته الفكاهية واتجه إلى المبنى ليكون من أوائل الحضور .

***

انتهى اليوم الدراسي الأول، أحب حمزة مجال كليته أكثر، وذلك بفضل إسلام فقد شحنه بطاقة إيجابيه تجاه العمل والاجتهاد وإثبات الذات، رسخ في دماغه أن يكون قائدا لأمته في مجاله، لا يخضع للمحبطين أبدا، حيث أخبره بتجاربه الفاشلة مع الأصحاب في سنوات دراسته، ليس العيب في كل الشباب، ولكن العيب منه أنه أساء الاختيار، لذلك لا يريده أن يقع في نفس الخطأ، ندم على سنوات عمره التي لم يستمتع بها مع من في سنه، اكتفى بصديق عمره أحمد، فنصحه أن يوازن بين الدراسة وبين أصدقائه، ولكن صداقات محدودة لا يوسع المجال للجميع بأن يصادقه حتى لا يندم في النهاية، أن يكون محبوبا من الجميع بالمعاملة الطيبة .

كان حمزة مستمعا جيدا، أنصت لكل كلمة قالها إسلام، وعاهد نفسه أن ينفذها.

***

أتى صهيب من مدرسته المجاورة لروضة إيثار، رحبت به المعلمة أخبرته أن إيثار كانت مهذبة للغاية، وتتفوق كثيرا عمن في سنها، دعت لها بأن يحفظها الرحمن من كل سوء، فرح صهيب بما سمع ثم حمل إيثار مقبلا خديها الجميلتين، ثم قال لها:

- أريدك دائما متفوقة يا حلوتي، اتفقنا؟

- بالتأكيد، فمعلمتي جميلة وطيبة وسأستمع لنصائحها دوما لتفرح بي إيلاف.

ضحكت المعلمة رغما عنها ثم قالت مبتسمة:

- لا تنسَ موعد الحفلة غدا، وأخبري والدتك عن اجتماع أولياء الأمور.

فقالت إيثار بأسى:

- هل من الممكن أن تكون إيلاف؟

- ومن تكون إيلاف يا صغيرتي؟

- إنها أختي الكبرى، أخبرتني أن والدينا اختارهما الله ليكونا بجواره في الجنة.

ظهرت علامات الأسى والضيق على المعلمة، فهذه المسكينة حرمت من والديها منذ نعومة أظافرها، أراد صهيب أن يغير مجرى الحديث حتى لا تبكي أخته المسكينة وقال لها :

- ما رأيك في خالتي ياسمين ستأتي هي ويزن لحفلتك وستستمتعان أليست فكرة رائعة؟

ارتسمت الضحكة على وجه إيثار وقالت:

- تعيش خالتي ياسمين تعيش تعيش.

ضحكت المعلمة لخفة روحها ونقائها وهمست في أذن صهيب قائلة:

- أهنئك على تماسكك وصبرك، فعلا لقد علمتوني درسا لن أنساه، شكرا جزيلا لك.

ابتسم لها صهيب وقال:

- لو نظرنا لغيرنا لعلمنا أننا أقل الناس ابتلاء، فالحمد لله على ما أعطى والحمد لله على ما أخذ.

- أنت جميل يا ولدي، بارك الله فيك وفي أخوتك، وأدام حمدكم للمولى.

- اللهم آمين، عذرا قد عطلناك.

- لا، سررت كثيرا بالحديث معك.

- وأنا يا معلمتنا الفاضلة سررت بمعرفتك، صحيح قبل أن أنسى قد طلبت مني أختي رقم هاتفك لتتواصل معك بخصوص إيثار.

- نعم بكل سرور.

أملته رقم الهاتف وأملاها رقم إيلاف، شكرها ثم حمل أخته على كتفيه كما تحب، وظلت تغني وهو يضحك حتى وصلا إلى المنزل.

***

ألم تنهي إيلاف الفستان بعد يا إسلام؟ هكذا قالت سندس لإسلام حينما دخلت عليه غرفته فجأة، مما أفزعته طريقتها فرد عليها غاضباً:

- وما شأني أنا!، معك رقم هاتفها، حدثيها إن شئتِ!

-لا تنزعج هكذا، أمازحك، مابك؟

- لا شئ يا سندس دعيني وشاني.

ذهلت من طريقته في الحديث، ليست معتادة على طريقته هذه، رددت سؤالها مرة أخرى بنبرة حزن:

- مابك؟ ليس هذا أخي الذي أعرفه؟

- قد لمحت صديقة إيلاف لها بموضوع الارتباط حاليا ولكنها رفضت رفضا قطعيا.

- وما أدراك؟

- قد رأيتها منذ قليل صدفةً فأخبرتني.

- ربما لديها ضغوطات، لاتحكم الآن، إن كنت حقا تريدها زوجة لك فحارب من أجلها، حتى وإن رفضتك في المرة الأولى، إن رأت فيك الرجل الذي تحلم به، فلن تفرط فيك أبداً، هي لا تعلم عنك شيئا، لذلك لن تتمسك بك، أما انت فتعلم الآن كل التفاصيل عنها فيزداد تمسكك بها كل يوم عن ذي قبل، أنصحك أن تصاحب أخاها حمزة جيدا، لأنه تلقائيا سيحكي لها عنك وعن شهامتك فيزداد إعجابها بك، وصدقني لن ترفضك.

- قد تحادثنا اليوم كثيرا أنا وحمزة، وقد قرأت علامات الإعجاب في وجهه مما زاد فرحي.

- رائع، استمر على هذا المنوال .

***

تجمعت الأسرة لتناول الحلويات التي أعدتها إيلاف وخالتها ياسمين، فكلتاهما ماهرتان في إعداد أطباق الحلويات، لكن اليوم أعدتا لأول مرة «الكنافة النابولسي» ومنتظرتان تعقيب لجنة التحكيم، تذوقها صهيب أولا لأنه يعشقها، دائما ما يشتريها من محل أبو إياد السوري القريب من المدرسة وقال بتلذذ:

- بداية موفقة، الجبن كثير والقطر متوسط، هذا ما أحبه، ولكن الحق يقال هناك لمسة خاصة لأبو إياد.

- وهل ستقارننا بأبو إياد!!! إنها مهنته، وأصل عملها عندهم في سوريا، أما نحن فحديثاً ما تعلمناها.

أعجبت حمزة أيضا وإيثار.

تذكر صهيب أمر الحفلة فقال لخالته ياسمين:

- عذرا يا خالتي لم أستاذنك، ولكني أخبرت إيثار أنك ستذهبين معها غدا للحفلة لأن المعلمة أخبرتها أن تجلب وليه أمرها، فبكت للمعلمة وقالت لها:

- هل يجوز إيلاف؟!

فأفرحتها بقدومك ويزن.

- مـا كل هـذا الاعتـذار يـا صهيـب، بالطبـع اذهـب أو لسـت خالتـك وفي مكانـة الأم؟

- نعم بالطبع، ولكن خشيت أن تكوني مشغولة.

- وإن يكـن، تهـون المشـغوليات أمـام حلـوتي الصغـيرة، سـأختار لهـا فسـتانا عـلى ذوقـي مـن خزانتهـا.

قالت إيلاف:

- كما تشائين يا خالتي.

ثم وجهت حديثها لصهيب قائلة:

- ماذا جرى بينك وبين المعلمة؟

- أحبـت الحديـث معنـا وأحبـت إيثـار كثـيراً وقالـت إنهـا متفوقـة عـن باقـى زملائهـا.

- أدام الله عليها اجتهادها، هل أعطتك رقم هاتفها؟

- نعم.

- جميل.

هـل تعلمـين يـا إيـلاف مـن أصبـح معيـدا؟ ويعطينـي مـادة أيضـا؟ قالهـا حمـزة بحـماس.

- وما يدريني؟! قل.

- إسلام أخو سندس.

- ماذا !!! هل هو معيد؟

- أول سنة له، لم يتجاوز الخامسة والعشرين بعد.

- تبارك الله.

- تحدث معي كثيرا، وأعطاني إرشادات أفادتني، تعلمين شخصيته جميلة جدا، شخص مرح، باسم الثغر، لن تملي من حديثه.

- رائع، من الواضح أنك كونت صداقات من أول يوم.

- تصدقين ! لم أعرفه في البداية، حين رآني وتبسم لي، ولكن الحمد لله عصرت دماغي قبل قدومه إلى أن تذكرته.

- سر على نهجه إذًا وتفوق.

- بإذن الله.

***

من الجميل أن يكون لك خالة تشبه والدتك في كل شئ، وخاصة إن كنت قد فقدت والدتك، صدقني فهي عوض من الله لك، ياسمين أحبت أختها كثيرا؛ فقد كانت لها سنداً، تستشيرها في كل أمر من أمورالحياة، لا تكتم عنها شيئا، تحكي لها ما جرى في يومها قبل والدتها، وهذا ما وطد العلاقة بينهما منذ الصغر، تحابتا بصدق، لم يسمحا لأحد أن يتدخل بينهما، وبعد وفاة أختها وجدت أنها لابد أن ترد بعضاً من معروفها في أبنائها، قررت أن تسعدهم بشتى الطرق، تنفذ ما كانت تفعله أختها معهم، بالضبط راجية من الله أن تعوض

لهم ولو شيئاً من حنان الأم، ها هي اليوم تشارك إيثار الحفل التنكري المقام لهم، ألبستها فستان الأميرة النائمة، ظلت معها حتى انتهاء الحفل، رأت في عينيها فرحة جعلتها تبكي، وقالت في نفسها «كيف كنت محرجا يا صهيب وانت تخبرني بالحفلة، أكنت تريد هذا الملاك أن ينكسر وسط زملائه، لن أجعلك تحسين بهذا الحزن يا صغيرتي بعد اليوم»، اتجهت إلى المعلمة وعرفتها بنفسها فقالت لها المعلمة:

- أهلا وسهلا بكِ أستاذة ياسمين تشرفت بمعرفتك.

- وأنا أيضا يا أستاذة هند. هل لي أن أطلب منك طلبا؟

- تفضلي أسمعك.

- لا أريد أن تبكي إيثار بسبب أنها فقدت والدتها، هل لك أن تحتوي ابنتي بكلمات تريح صدرها وترجع الابتسامة على وجهها إن حزنت في يوم بسبب هذا الموضوع؟

- تعلمين أنني أحب إيثار كثيرا، لن أسمح لهذا الملاك أن يذهب للبيت منكسر الخاطر ثقي بي.

- سأكون ممتنة لك كثيرا.

- لا هذا واجبي.

ظلتا تتبادلان أطراف الحديث إلى أن تسلم كل طفل هدية بداية العام، وانتهى الحفل بفرحة الأطفال وتعلقهم بالروضة.

***

هـا هـي ترسـل تصميـما تلـو تصميـم، والطلـب يـزداد يومـا بعـد يـوم عـلى مـا تقدمـه إيـلاف لهـذه الشركـة، قـال المديـر بحماسـة:

- لابـد أن أقابـل تلـك الفتـاة بنفـسي، أرسـل إليهـا تذكـرة طـيران، لنتعـرف عليهـا وتتعـرف عـلى الشركـة، ربـما تغـير رأيهـا وترغب في البقـاء هنـا طيلـة العمـر.

- كـما تشـاء يـا حـضرة المديـر، ولكنهـا ترغـب في عمـل ماركـة خاصـة بهـا كـما فهمـت منهـا هـذا أثنـاء مقابلتـي لهـا.

- هـذا بعـد عمـر طويـل، مـن يـدري ربـما تعجبهـا شركتنـا فتعقـد الصفقـات معنـا.

- لكـن سـيدي، لا تعطيهـا هـذا القـدر مـن الاهتـمام، فربـما تـرى نفسـها وتقـصر في عملهـا بعـد ذلـك.

- أولا تسـتحق التقديـر!! جميـع أعمالهـا تبـاع مـن أول يـوم تنـزل فيـه للسـوق، لا تكـن محبطـا للناجحـين مـن فضلـك.

- أعـذرني يـا سـيدي، لم يكـن هـذا مقصـدي، سـنتواصل معهـا كـما تشـاء ونعلـم أوقـات العطلـة منهـا.

- حسنا إذًا، أبلغني بعدها

- كما تشاء.

***

منـذ أن أقبلـت إيـلاف عـلى هـذا العمـل الجديـد، وهـي تتفحص بريدهـا الإلكـتروني بشـكل يومـي، حتـى لا تكـون مقـصرة في

عملها، فتحت هذا الصباح لتتفاجئ بالرسالة وكانت عبارة عن «المدير أمر أن يراكِ شخصيا، نريد معرفة وقت إجازتك لنرسل إليك تذكرة من فضلك».

ضحكت بملء شدقيها من شدة فرحها، فمدير الشركة بعظمته يود مقابلتها ومازالت حديثة العمل معهم، هذا معناه أن عملي عليه طلب في السوق (يالفرحتي، ها قد بدأ شئ من الحلم يتحقق يا إيلاف، كوني سعيدة وأحمدي المولى على ما أوصلك له، لا تسمحي لحروف اليأس أن تظهر في مخيلتك. انظري ها أنت تتسلمين جائزة أفضل مصممة للمحجبات، وها هن الفتيات غيرن من طريقة ارتادئهن للملابس، نعم أصبحن أكثر حشمة).

انتشلت نفسها من بين أحلامها لترد سريعا على الرسالة وقالت:

«أجازة نصف العام، فاختبارات الفصل الدراسي على وشك أن تبدأ، ستبدأ الأجازة في منتصف يناير».

أغلقت حاسوبها، لتخبرالجميع بما طلبه المدير منها، هنأ الجميع إيلاف بهذا التقدم الملحوظ في العمل، داعين الله لها أن تظل دائما في هذا التفوق وأن يوفقها الله لما يحبه ويرضاه.

***

اتصلت إيلاف بسندس لتعتذر لها عن تأخرها في إنهاء الفستان فقالت لها سندس:

- لا عليك حبيبتي، فأنا لم أطلبه منك في وقت معين، قلت لكِ أنهه في أي وقت.

- أحقا لم تنزعجي؟

- كيف لي أن أنزعج لديك جامعة وأخوة ومذاكرة، أفبعد هذا وأثقل عليكِ؟

- يالك من فتاة جميلة يا سندس، شكرا لتقديرك ظروف الغير، قليلون من يقدرون.

- لا شكر على واجب حبيبتي الغالية، أتعلمين أنني أحببتك منذ أن التقيت بك، كنت دائما أدعو الله أن يرزقني بأخت ولكن لم يشأ، وعندما رأيتك أحسست بأن الله استجاب لي، وأهداني من ستؤنس وحدتي وتملأ دينتي بهجة، أحسست فيكِ تلك الطفلة المرحة التي أسترجع معها ذكريات طفولتي، لا أعلم كيف ومتى ولماذا أنتِ بالذات التي رأيت فيها الأخت التي أفتقدها.

- يااالله، أسعدتني كلماتك الجميلة جدا يا سندس، بالطبع أكون أختا لكِ.

-أجمل ما سمعت اليوم، سآتي غدا بإذن الله، آخذه ونتسامر قليلا، إن كنت متفرغة.

- حسنا في انتظارك، أجل متفرغة يا عزيزتي.

- حسنا في رعاية الله.

ليس من عادتك الحديث طويلا مع زبائنك؟ هكذا قالت ياسمين.

- إنها سندس أنهيت فستانها وتحدثنا قليلا، أتعلمين يا خالتي أنها أخبرتني أنها رأت فيَّ أختها التي حرمت من وجودها على وجه الدنيا وطلبت مني أن أظل أختا لها.

- من الجيد أن يحبك المرء كأخ له، ولكن أليس الموضوع غريبا، إسلام يوطد العلاقة بين حمزة، وسندس تريدك أختا، ماهذه العائلة التي تحبنا هكذا؟!

- ماذا تقصدين؟هل تشكين في أمرهما؟

- أشك، ولكن ليس شيئا سيئا إن شاء الله .

- قولي إذًا.

- لا يا حبيبتي لا أريد أن أسبق الأحداث، دعي الأمور تسير في مجراها الطبيعي لنرى ماذا سيحصل.

- حسنا عمتِ مساء.

- تصبحين على خير يا عزيزتي.

***

صوت هديل الحمام الممتزج مع زقزقة العصافير يعطي نغمة محببة للأذان، على إثر هذه النغمات تستيقظ سندس، تفتح الشرفة لتستنشق نسيم الصباح العابر، تداعب الطيور وتقدم لهم الماء وبعض الحبوب، سافر خالها إلى إسبانيا في بعثة طبية،

ولعلمه بيوم ميلاد حبيبة قلبه أهداها يوم ميلادها التاسع عصفورين من نوع «البندوق»، وهذا نوع ناتج من تهجين عصفور كناري مع عصفور الحسون، أي أنه جمع صفات جمال الحسون ذي الألوان الزاهية والريش الأنيق وعذوبة صوت الكناري وتغريده الرائع، ومنذ ذلك اليوم وهي تربي الطيور وتحرص جيدا على الاعتناء بها .

توضأت بعدها لتصلي الضحى، ومن ثم ارتدت ملابسها، كانت على عجلة من أمرها إلا أن والدتها منعتها من الذهاب دون أن تتناول وجبة الإفطار فأكلت بعض اللقيمات لتسد جوعها، ذهبت إلى المحطة وحيدة؛ فقد تركها إسلام وذهب لأن جدوله يبدأ من الساعة الثامنة، أما هي فيومها من الساعة العاشرة .

بعد أن أنهت محاضرتها هاتفت إيلاف لكي تعلم الوقت المناسب لتذهب لها المنزل فأخبرتها إيلاف بحماس:

- سأنهي ما تبقى من المشروع وأذهب للبيت، لن أتاخر فقد أوشكت على الانتهاء.

- حسنا، نتقابل في منزلك بإذن الله.

- بإذن الله.

وجدت سندس عدم وجود إيلاف في المنزل فرصة لتحدث خالتها عن موضوع إسلام، فقررت أن تسبقها إلى منزلها، طرقت الباب، ففتحت ياسمين ورحبت بها، أدخلتها غرفة الضيوف، سألتها عن أحوالها ودراستها، ثم سألتها عما تود شرابه، فقالت لها سندس:

- لاتتعبي نفسك، فقد جئت إليك باكرا لأحدثك في موضوع.

- تفضلي عزيزتي.

- أخي إسلام يريد أن يخطب إيلاف.

تسمرت في مكانها وبدأت تربط الأحداث ببعضها، يصاحب حمزة ليتقرب إليها ويكسب ودها، ويقرب أهله منا بكثرة الزيارات ليعرفوا طباعنا، ليس بعيدا أن تكون قد سألت عنها في كل مكان يا إسلام، ارتسمت على وجهها ابتسامة الانتصار فتوقعها في محله ثم قالت بفرح:

- تعلمين أني توقعت هذا من أخيكِ، ليس بعيدا أن يكون من خطط لكم أمر الفساتين هذه لترددوا على المنزل.

- كيف عرفتِ؟!، بالفعل هذا ما حدث ولكن دعيني أحكي لك قبل أن تأتي إيلاف من الجامعة.

- كلي آذان مصغية، أحب مثل هذه المواضيع.

- لكن عديني ألا تخبري إيلاف بإعجابه الشديد هذا الآن.

- اتفقنا.

- لفتت انتباهه في القطار، أكذب عليكِ إن قلت إنه غض الطرف مباشرة، نظر لوهلة ومنذ تلك النظرة وهو في دوامة الإعجاب التي أصبحت حبا ولكنه يخفي.

-أنت شوقتني أكثر، أريد التفاصيل .

- تكـرر لقـاؤه بهـا في القطـار وكان يـرى حقيبـة المشـتريات تحمـل نفـس اسـم المتجـر في كل أسـبوع فذهـب لذلـك المتجر واشـترى قماشـا منـه، وعرفـه صاحـب المتجـر عـلى إيـلاف لتصمـم لـه الفسـتان واسـتخدمنا كطعـم ليصـل إلى إيـلاف، ومنـذ فـترة وجيـزة ذهـب إلى الجامعـة ليسـأل عنهـا لكـي يأخـذ قـراراً حاسـماً بشـأنها، فرجـع إلينـا وملامـح وجهـه تنطـق بخفقـان قلبـه لهـا، وأنـه سـيحارب مـن أجـل فتاتـه التـي سـتكمل أبجديتـه الناقصـة.

- إنـه فتـى رومانـسي، افرحـي يـا إيـلاف، هـل أحبهـا بصـدق حقـا؟

- بعد كل هذا وتسألين هل بصدق أم لا؟!

في هذا الوقت دخلت عليهما إيلاف وقالت ضاحكة:

- ما هو الذي بصدق؟ اعترفا.

ابتلعتـا ريقهـما وضحكتـا، ومـن ثـم وجهـت سـندس الحديـث وقالـت:

- أنـا قلـت لهـا عـن تصاميمـك إنهـا رائعـة، فأخبرتنـي خالتـك ألا أجامـل وأقـول بصـدق، هـذا مـا جـرى يـا عزيـزتي.

- شـكرا جزيـلا لـك يـا سـندس، إن صممـت شـيئا جميـلا فهـذا بفضـل الله عـليَّ وبفضـل تشـجيعكم الدائـم .

- ونعـم بـالله، هيـا إيـلاف بـدلي ملابسـك وصـلي الظهـر لتجلـسي مـع سـندس في حـين أكمـل لكـم الغـداء.

- حسنا يا خالتي.

هيا قولي لي قبل أن تأتي، هل يريد خطبة في هذا الوقت أم ماذا؟

- هو يريد اليوم قبل غدٍ، ولكن فتحت نور صديقتها موضوع الخطبة بشكل عام فرفضت رفضا قطعيا، حينها رجع أخي وجهه ممتقعاً فعرفت أن هناك جديدا بخصوص إيلاف، أخبرته ألا ييأس، فمن الممكن أنه لم يأت الشخص الذي تتنازل عن كثير من قرارتها من أجله، أعطيته جرعة أمل حتى لايحزن، تعاوني معه أرجوكِ.

- لا تقلقي سأحاول بشتى الطرق.

دخلت عليهم وفي يدها الفستان وقالت لها بحماسة:

- هيا لنرى يا أميرة هل فستانك صار جاهزا أم لا، اغمضي عينيك وانا سألُبسك إياه.

- هيا أنا متحمسة للغاية.

ألبستاها الفستان وأوقفتاها أمام المرآة لترى نفسها، بمجرد أن تفتح عينيها، فتحت عينيها لتدهش من جمال الثوب، وضعت يدها على فمها من شدة جماله وقالت:

- يا إلهي لم أتصور أنك ستخطتينه بهذه المهارة، جميل جميل جميل يا إيلاف، أحييكِ على إبداعك، شكرا من الأعماق.

- لا تشكريني يا عزيزتي فهذا عملي، المهم أنه أعجبك وهذا هو المطلوب.

دلفت ياسمين إلى المطبخ لتكمل الغداء، بينما ظلت الفتاتان تتحدثان وتضحكان، وكان من ضمن هذا، حديث سندس عن شخص تقدم لخطبتها، وأثناء دخولها غرفة الاستقبال لتقدم لهم العصير، ارتعش كل جسدها فانسكب العصير على الأرض، وظلت طوال المقابلة دافنة رأسها أرضا، من شدة الإحراج، فسألتها إيلاف بعد أن أدمعت عينيها من شدة الضحك:

- وهل وافقت عليه؟

- لم أعطه جواباً بعد.

- تعلمين، أنني لم أجرب أن أجلس أمام شخص وأحدثه عن مواصفات الشخص الذي أتمناه، دائما ما أرفض.

- ولكن لماذا؟!

- لا أعلم، لست مستعدة للارتباط بأحد، أعلم أنه من الخطأ الحكم عن بعد ولكن ما باليد حيلة.

- إن تقدم لكِ شخص به كل المواصفات التي تتمناها أي فتاة وفوق كل هذا سيحارب من أجلك هل ستوافقين أم ستصرين على رأيك؟

- سؤال صعب ومحير لأمثالي، لكن لا أعلم صدقيني، ربما إن وُضِعتُ في الموقف تتغير طريقة حكمي.

- أتمنى ذلك من قلبي.

ضحكت وقالت لها:

- غريب، لماذا تقولينها بلهفة هكذا؟!

- لا لا أمنية ليس إلا.

قاطع حديثهما صوت ياسمين تناديهما لتناول الغداء، رفضت سندس البقاء على الرغم من محاولات إيلاف وياسمين وإصرارهما الشديد إلا أنها كانت تردد غامزة لياسمين:

- سنتناوله جميعا في القريب العاجل إن شاء الله.

فبادلتها ياسمين نفس الغمز قائلة:

- إن شاء الله .

لم تلاحظ إيلاف غمزاتهما تلك لأنها انشغلت بمداعبة يزن، ولطلب خالتها منها أنها من ستودع سندس بنفسها، ولا تعرف ما يحاك من وراء ظهرها، وقبل أن تغلق الباب قالت لها سندس:

- لانريدها أن تشعر بشئ اتفقنا؟

- لا تقلقي، في أمان الله.

- اللهم آمين .

***

بعد أن تناولت الأسرة طعام العشاء وتسامرت قليلا قرر الوالدان المسنان الخلود للنوم؛ فليس لديهما طاقة الشباب للسهر طويلا، قررت سندس أن تسهر الليلة مع إسلام لمشاهدة فيلم رعب، ومنها تفاتحه في موضوعه، دخلت المطبخ لتعد البوشار اللذيذ وبعدها دلفت لغرفة إسلام فوجدته يحمل دفتراً لم تره

معـه مـن قبـل، كان سـابحا في خيالـه ويـدون، فقالـت بنـبرة أفزعته:

– ماذا تفعل؟

خبأ الدفتر بسرعة وقال:

ما شأنك يا فضولية؟!

داعبت شعرها ضاحكة وقالت:

– لن أتطفل سأجعلك تقر وحدك وبشروطي أيضا.

– ماذا في جعبتك؟

– أخبرني أولا ماذا كنت تكتب، أخبرك بما في جعبتي.

– دفتر يومياتي.

– شرط آخر، تشاهد الفيلم معي.

– موافق، ولكن ستخبرني الآن وإلا فلن أشاهد.

– حسـنا كـما تشـاء، ذهبـت اليـوم لإيـلاف، خاطـت لي فسـتانا أكثـر مـن رائـع وتحدثنـا عـن الشـخص المتقـدم لي وجاريتهـا بعدهـا في الحديـث عنهـا ...

– مالذي أسكتك؟

– للإثارة.

– لا تكوني فظة، أكملي .

قالـت إنهـا لم تجـرب أن تجلـس أمـام شـخص وتخـبره بالمواصفات

التي تريدها في فتى أحلامها، دائما ما ترفضهم من البداية، فأخبرتها ألا تحكم عن بعد، قالت سأحاول.

- يالله، في كل مرة تصعب عليَّ الأمور أكثر.

- أخبرت خالتها ياسمين، وهي ستسهل لك الطريق قليلا.

- أتمنى.

- هيا يا بطل فالبوشار قد برد

- هيا لنستمتع إذا، سأذهب للحمام بينما أنت تجهزين شاشة العرض.

ضحكت ضحكة ماكرة وقالت:

- كما تشاء يا أخي العزيز.

فتحت الدرج سريعا وتناولت الدفتر لترى ما به، فتحت على آخر صفحة وضع فيه القلم ورأته كتب:

الرسالة الرابعة والخمسون:

أتحدث مع العامة لأفهمهم، أما أنت فلأجذبك نحوي، لا أعلم إن كنت فهمتِ لغة حبي لك، أما أنك تبتعدين لظنك أنه شعور وهمي؟!

رددت في سعادة ممتزجة بضحكات:

-هكذا إذا يا روميو انفضح أمرك.

***

قررت الليلة أن تخلد للنوم باكرا لبذلها مجهودا كبيرا هذا الصباح، فاستغلت خالتها عدم وجودها في الأرجاء وأخبرت حمزة أنها تود أن تخبره بموضوع فرد قائلا:

- أحب مواضيعك الشيقة يا خالتي، أسمعك.

- تعلم كيف عرف إسلام أختك؟

- لا، لم أسأله.

- أنا أخبرك ...

أخبرته بالقصة كما سمعتها من سندس، حدق بعينيه طويلا وقال:

- يحب إيلاف ويريد أن يتزوجها !!!!! هل صحيح ما تسمعه أذناي؟!

- إياك أن تلمح له أتسمعني؟

- ولكن لم لم يخبرني؟

- سيخبرك لا تقلق، ولكن ينتظر فرصة تشجعه، تفاجأ كأنك لا تعلم شيئاً عندما يفاتحك في الموضوع

- ولماذا أخبرتني باكرا؟

- لأني أريدك أن تسأل عنه في الجامعة «أصدقاءه، أساتذته، العمال «لا تترك أحدا» .

- من معاملتي له، أرى أنه شاب رائع ولكن لن أخسر شيئاً

إن سألت.

- بالضبط، لن نخسر شيئا.

- اتفقنا، عمتَ مساء.

- عمت مساء يا عزيزي.

***

نسمات الريح فجرا تحرك ستائر الغرفة يمنة ويسرةَ، داعبت النسمات وجه حمزة فاستيقظ، على إثرها فرك عينيه ثم توضأ و أيقظ صهيبا معه واتجها للمسجد، وبعد أن أديا الصلاة رجعا المنزل، دخل غرفته ليستذكر بعضا مما ذاكره البارحة، فقد أخبره إسلام أن أستاذ هذه المادة يقوم باختبارات فجائية، فلابد أن يكون مهيئا نفسه، جالت في خاطره أفكار بخصوص إسلام (هل سيخطب أختي حقا؟ هو فتى خلوق ومهذب، ألف فتاةٍ تتمناه، سأسأل عنه جيداً، لأكون سببا في إقناع إيلاف، فالظاهر لي أنه من سيكملك يا إيلاف، أتمنى أن تكون عند حسن ظني يا إسلام).

أغلق حاسوبه ووضعه في حقيبة ظهره، تناول فطوره على عجل، سأل إيلاف هل ستذهب اليوم إلى الجامعة ليصطحبها معه أم لا، فقالت:

- لن أذهب الآن، سأتدبر أمري لا تقلق.

نادى بعدها على صهيبٍ وإيثار ليصطحبهما معه في طريقه، فالمدرسة قريبة من الجامعة، اطمئن على دخولهما، وبعدها

ركن سيارته واتجه لمحاضرته، بعد أن انتهت المحاضرة، ذهب في الوقت الفاصل بين المحاضرة والأخرى وهو ساعتان، إلى بعض الأساتذة التي تعامل معهم إسلام شخصيا ليسأل عنه، الكل قد أجمع على حسن سلوكه وحبه لنفع زملائه بكل معلومة يشعر أنهم غير قادرين على فهمها، يعني أنه محب للخير، ويسعى لمساعدة الغير برحابة صدر، بعدها اتجه لزملائه المعيدين، منهم من كان في نفس فرقته، ومنهم من هم أكبر منه سنا، كان إسلام على علاقة وطيدة بالمعيدين، لأنهم يحبون تلاميذهم ويعاملونهم كأخوتهم، لا يحبذون الألقاب يجدون فيها كلفة لأن فارق السن بينهم وبين تلاميذهم لا يتعدى الخمسة أعوام، كان إسلام بالنسبة لهم صديقا، لكثرة تردده عليهم أحبوه بصدق لتمسكه بمبادئه وقيمه رأو فيه ذلك الشاب الملتزم المرح البشوش والعف اللسان والمتسامح، دائما ما يشجعهم على الذكر والطاعة، اصطحبهم مرات عدة لحفلات هو من منظميها لأطفال مرضى السرطان واليتامى، علموا من أصدقائه أنه يشارك في حملات الإغاثه بدون علم أحد.

إسلام هو ذلك الشخص ذي الحس المرهف والقلب الحنون والذي يتمتع بقلب كبير، يقف بجانبك في أصعب أوقاتك.

باختصار إسلام هو إسلام الإنسان.

انعقد لسان حمزة، أحس بأن قلبه يود أن يشق صدره ليطير إلى منزلهم ويخبر إيلاف بما يسمع، شكرهم كثيراً على حسن تعاونهم واستضافتهم له، وطلب منهم ألا يخبروا إسلام بشئ، فوافقوا على طلبه، خرج من مكتبهم

عـلى عجـل؛ فقـد حـان وقـت المحـاضرة التاليـة، ظـل يتمتـم:

- الحمـد لله لم تخيـب ظنـي يـا إسـلام، جمالـك الداخـلي لا يُضاهـى، لابـد أن تعـرف إيـلاف مـا سـمعته حتـى تتشـبث بـك، وإلا فأنـا أعـرف أختـي جيـدا رأسـها يابـس وسـترفض الارتبـاط بـأي شـخص.

***

انتهـى اليـوم بسـلام وعـاد الـكل أدراجـه، فتحـت سـندس البـاب لإسـلام، كان يومـا منهـكاً بالنسـبه لـه، عمـل عمـلا متواصـلا لمـدة اثنتـي عـشرة سـاعة، ومـن تعبـه لا يـردد إلا:

- أحد أحد.

ضحكت سندس بصوت عالٍ وقالت:

- صنعـت لـك فطائـر ستنسـيك هـذا التعـب، هيـا بـدَّل ملابسـك لأن أبي يريـد ان يتحـدث معـك.

- فطائـر !!! هـا قـد جعلـتِ معـدتي المسـكينة تبكـي أكثـر، سـأدخل لأبي ريثـما تضعـين الطعـام.

كان الحـاج محمـد منتظـراً ابنـه في غرفتـه، دخـل لوالـده وقبَّـل يـده ثـم قـال بحماسـة:

- يبدو أنه موضوع مهم يا أبي.

- مهم بالنسبة لك أكثر.

- ما هو يا أبي؟

- أمر خطبتك، ألم تخبرني أنك وجدت الفتاة التي تتمنى؟!

- نعم يا أبي.

- خير البر عاجله يا ولدي، نحن في زمن تندر فيه العفيفات، خذ قراراً وتوكل على الله، كلما تأخرت ستندم، صدقني.

- كنت سأفاتحك في هذا الأمر، إنني أخذت قراراً جديًّا، وسأذهب لخطبتها.

- على بركة الله يا ولدي، جمع الله بينكما في خير.

-اللهم آمين، أكثر لي الدعاء هذه الأيام يا أبي.

- لا تقلق، فشعوري أنك مضطرب هذه الأيام صحيح، ستكون من نصيبك بإذن الله، استبشر خيرا، فالطيبون للطيبات، هيا فأنت تتضور جوعا.

بعد أن تناول العشاء وهيأ نفسه للنوم، وجد دفترا في غير مكانه فظن أنه نسي وضعه، فأخذه وكتب هذه المرة:

الرسالة الخامسة والخمسون:

ها أنا آخذ خطوة للأمام من أجلك، فلا تخذلي هذا القلب المتيم الذي يكتم قدر المستطاع، صبر كثيرا ويريد البوح ...

***

استقيظت على إثر نغمة الهاتف لتجد إسلام مرسلا لها هذه الرسالة:

«أخبري إيلاف أن هناك شخصًا يريد أن يتقدم لخطبتك»

كاد قلبها يرقص فرحا وطربا مما قرأت مرددة:

- أتمنى أن تكوني عاقلة في قرارك يا إيلاف، وأن تجتمعي به على خير.

أرسلت إليه رسالة مكتوب فيها

-هل حددت موعدًا لأخبرها به؟

- الجمعة المقبلة في نادي المهندسين الساعة الخامسة عصرا، لقاء تعارف، أخبريها بذلك ولا تعطها أي تفاصيل.

- حسنا، كتب الله لكما الخير.

ألقت بنفسها على السرير متخيلة صديقتها المقربة تُزف عروسًا.

- ستكونين أجمل عروس يا ملاكي الصغير.

وغطت بعدها في نوم عميق.

***

أوشك اليوم على الانتهاء ولم تفتح نور معها الموضوع، لا تعرف من أين تبدأ وتخشى من رد فعلها العنيف حيال هذا الموضوع، رددت مع نفسها قائلة :

- هذه آخر فرصة، تملكي الشجاعة وأخبريها.

كانت إيلاف حينها تضحك مع الفتيات فنادتها نور وفي صوتها نبرة تردد وقلق:

- أريد أن أخبرك بشيء، ولكن أرجوكِ لا تتسرعي في الإجابة لأنها مسألة حياة أو موت بالنسبة لنا.

بدا عليها التعجب مما تقول:

- حياة أو موت!! أخبريني إذا، لا تذهبي بعقلي بعيداً.

- لا تتسرعي أرجوكِ.

- لن أتسرع بإذن الله، تكلمي.

- هناك شاب يريد أن يتقدم لخطبتك، فكري مليا ولا تتسرعي.

- ماذا تقولين !!!! وهل أعرفه؟

- لا أعلم، أخبرني أنه سيقابلك في نادي المهندسين الساعة الخامسة عصرا، للتعارف.

- من هو؟ سأذهب كالبلهاء دون أن أعرف اسمه حتى!

- ستعرفينه عندما تقابلينه، هذه هي التعليمات.

- ولكنك تعلمين مبدئي، لا أريد الارتباط الآن بأي شخص.

- وأنا أخبرتك ألا تتسرعي، قابليه وحسب، بعدها احكمي.

- هذه أول مرة في حياتي أجلس أمام شخص وأتحدث معه في أمور ارتباط وما شابه.

- وستكون الأخيرة بإذن الله.

- ولم كل هذا الوثوق؟ لست متفائلة في الأساس.

- ولكن حدسي يحدثني أنك جزء منه وستكملان بعضكما.

- إذا تعرفينه، وأنا أيضا أعرفه.

- ربما، هيا لنذهب إلى المحاضرة تأخر الوقت.

- سأعرف بطريقتي يا نور.

***

رتب لهذا اليوم خصيصا لأنه يعلم أنه من سيعطيه آخر «سيكشن» وسينتهي اليوم مع كليهما، يتمشيان قليلا ويخبره بأمر إيلاف، وبالفعل هذا ماحصل، تمشيا قليلا ثم سأله عن مذاكرته، أعطاه بعض النصائح ليسير عليها طيلة فترة الاختبارات التي تدق الأبواب .

اشتد تنحنحه ثم قال سريعاً وعلى وجهه علامات الخجل:

- أريد ان أتحدث معك في موضوع...

ضحكات مكر أخفاها حمزة، وابتسم ابتسامة صفراء ثم قال ماكراً:

- تفضل يا إسلام .

- احم احم أنت تعلم أن أي شخص بعد التخرج يبحث عن الاستقلال النفسي.

أظهـر تجاوبـه معـه، وفي داخلـه يضحـك مـن خجلـه، مـرددا في نفسـه: «قـل المفيـد هيـا فأنـا أعلـم مـا تريـد قولـه».

- وانا الآن أريد الاستقلال النفسي.

تصنع البراءة وقال:

- تريدني أن أبحث لك عن عروس؟!

- لا أنا وجدتها، وأريد أن أخطبها.

- على خير بإذن الله، ولكن ما دوري أنا؟!

- لأنني أطلبها منك، أليست شقيقتك الأستاذة إيلاف؟

- تريد خطبة إيلاف؟!

- بعد إذنك طبعا.

- يـا الله أسـعدتني كثـيرا، قليلـون مـن هـم في أخلاقـك يـا إسـلام، يشرفنـي بالطبـع.

- حقا ما تقول؟أيعني أنك موافق؟

- بالطبـع، ليـس عنـدي مشـكلة، الموافقـة في يـد أختـي ليـس فى يـدي أنـا.

- أقنعها أرجوك، تعبت لأصل لهذه المرحلة.

- كيف؟

- ليس الآن.

- اختـي رأسـها كالحجـر في هـذه المواضيـع، ولكـن سـنحاول، وأنـت كـن مسـاعدا وداعـما لنـا.

- لا تقلق من ناحيتي.

***

عـادت إلى المنـزل سريعـا لتحكـي لخالتهـا مـا سـمعته مـن نـور، وبعـد أن حكـت لهـا رددت في سـعادة:

-وأنتِ موافقة أليس كذلك؟

- أوافـق عـلى شـخص لا أعلـم اسـمه حتـى!!!! خالتـي أشـم رائحـة خيانـة، هـل تحيكـين شـيئا مـن ورائـي؟!

- شيئا مثل ماذا؟

- تعرفـين مـن هـو الشـاب أليـس كذلـك؟ واضـح عليـكِ جـدا، لا تنكـري.

- نعم علمت من هو ولكن لن أخبرك، هذا طلبه الوحيد.

- تعلمـين أن اختبـاراتي سـتبدأ بعـد خمسـة عـشر يومـا، وأريـد أن أتفـرغ للمذاكـرة لا أن أفكـر في أحدهـم، لذلـك أخـبروه أن آخـر يـوم في الامتحانـات هـو الـذي سـأقابله فيـه.

- ولكنك فتاة متعقلة، لن تجعليه جزءًا من تفكيرك.

- وما أدراكِ، افعلي ما أقول رجاءً.

- حسناً، كما تحبين.

اتصلت بسندس كما أمرت إيلاف وأخبرتها، فابتلعت سندس ريقها وقالت:

- هل رفضت وأنتم محرجون؟ قولي لى لا ترددي.

- لا يا عزيزتي لم ترفض ولكن هذا طلبها.

حسنا، سأخبر إسلام بذلك.

***

تتقدم خطوة وترجع عشرا، فقلقها من رد فعل إسلام شديد، تخشى أن ينكسر خاطره، لأنه لن يصدق أمر انشغالها بالامتحانات، هي نفسها لم تصدق، بدأت تغير من تعابير الحزن إلى المرح والخفة حتى لا يلاحظ حزنها عليها، طرقت الباب بخفة ثم دلفت إليه، بدأت في المداعبة كعادتها فقال لها:

- وراء مرحك الزائف خبر محزن.

- من قال إنني حزينة؟

- أحفظ تعابير وجهك عن ظهر قلب، هيا ما الخبر الذي سيحزنني وتحاولين تلطيف الجو قبله.

- لا تصعِّب عليَّ الموضوع، ليس محزنا بإذن الله، فقط تريد إيلاف أن تؤجل المقابلة حتى تنهي امتحاناتها .

حاول أن يهدئ نفسه و يتظاهر باللامبالاة ولكن نبرات صوته عكست هذا التظاهر، أحس أنها أهانت رجولته، حاول أن ينفض هذا العبث من رأسه؛ فلا يجب أن يسئ الظن بها

هكـذا، لكنـه غـير قـادر عـلى التحكـم في مشـاعره، رد عليهـا بحسـنا وإسـتأذنها لينـام فأطفـأت الأنـوار وخرجـت، بعـد تأكـده مـن ذهابهـا لغرفتهـا أشـعل المصبـاح ذا الضـوء الخافـت وأمسـك دفـتره وكتـب:

يـا ريـاح الحـب أقبـلي لتنتشـلي خفقـات قلبـي المتبعثـرة، وأنثريهـا في أماكـن منسـية عـلى قلبـي المريـض لتطيـب جراحـه وينسـى.

ظـن أنـه بعـد أن يكتـب سـيرتاح قليـلا، لكـن مشـاعره تكـذب مـا كتبـه، فقـال لنفسـه: «لم يحـدث شيء لـكل هـذا يـا إسـلام كفـاك دراما»، ضحـك مـن طريقـة صراحتـه مـع نفسـه وقطـع بعدهـا الورقـة التـي كتبهـا، لكنـه مـازال متخوفـا ويبـدو عليـه القلـق ممـا سـيحدث.

***

بلغـت القلـوب الحناجـر في بيـت إسـلام، فحزنـه يؤثـر سـلبا عـلى جميـع مـن في البيـت، يدخـل البيـت، يلقـي التحيـة، ومـن ثـم يدخـل إلى غرفتـه مباشرة، لا يتحمـل الحديـث والمناقشـة، فهـا هـي الامتحانـات قـد انتهـت ولم تعطهـم إيـلاف خـبراً عـن المقابلـة، تأكـد حينهـا أنهـا لا تريـد الارتبـاط بـه (لمـاذا فعلـت هـذا؟ هـل أخطـأت عندمـا رسـمت في مخيلتـي جمـال أخلاقهـا؟ لكنـه ليـس مـن خيـالي هـذا مـا قالـه النـاس عنهـا، صليـت صـلاة الاسـتخارة وتيـسرت الأمـور، فلـماذا تعقـد الموضـوع هـي؟ لا أفهـم حقـاً، دلنـي يـارب، دلنـي).

***

على الجانب الآخر، حدثتها خالتها مراراً وتكرارا أن تهاتف أهل الشاب، فها قد أنهت امتحاناتها، ولكنها ترفض لظنها أنه لم يبادر ويتصل هو، إلى جانب ذلك أنها مشغولة في إجراءات السفر، فردت خالتها بعصبية:

- كفاكِ تعقيدا للأمور، الفتى ينتظر منذ أن أنهيتِ، أُأكد لك أنه الآن قد ظن أنك لعبتِ عليه حتى تظهري له أنك لا تريدينه، وهذا أكبر خطأ، فالشاب لم يفعل شيئاً يغضب الله حتى تكافئيه، أهنتِ رجولته بغبائك هذا، أترضينه على نفسك؟

- خالتي، لست غليظة القلب لأفعل شيئا كهذا، لم أقصد صدقيني، أعلم أن تعقيدي في مثل هذه الأمور خطأ، ولكن لا أستطيع ترك إخوتي بمفردهم، لا أستطيع ترك إيثار، تموت إن لم تجدني بجانبها على السرير، ظروفي يا خالتي، ليست بالأمر السهل، أنا جسد واحد ولكن بداخله أربعة أرواح، هل تستطيع الروح مفارقة الجسد؟ إلا إذا انتقلت لبارئها ! هذه هي حالي مع إخوتي.

- اعلم جيدا ما تقولينه يا حبيبتي، فالتي تفتقدونها أختي، وما أصعبه من شعور، لكن هذه سنة الحياة، اجلسي معه وتحاوري علكِ تصلين معه لنقطة اتفاق تغنيكِ عن كثير من الأسئلة التي تخافينها، هو شخص متفاهم وأنا أجزم لك هذا، سيصل معك لحل بخصوص أخوتك، على الرغم من أننا لن تركهم ما بقينا أحياء، ولكن ليرتاح بالك وحتى لاتشعري أنك ابتعدتي عنهم.

- سأذهب لمقابلته، حتى لا أظلمه، لكنني لن أوافق أنا متأكدة.

- كما تشائين، أأتصل بهم الآن؟

- أجل.

***

بينما سندس جالسة أمام التلفاز من فرط الملل، إذ تسمع صوت رنين هاتفها، تفاجئت بالمتصلة، إنها ياسمين خالة إيلاف، جهزت نفسيتها لاستقبال اعتذار ياسمين عن رفض إيلاف لإسلام فتفاجئت بعد السؤال عن الأحوال، بأنها تود الحديث مع إسلام، فتيقنت أنها تريد أن تخبره بنفسها عن إيلاف، أعطت لإسلام الهاتف بارتباك شديد، تخشى على أخيها؛ فنفسيته محطمة، ولايريد ما يزيد نفسيته إعياءً، رأت إسلام يضحك بملء شدقيه من شدة البهجة والفرح، أخيرا رأت وجه أخيها باسما، أنهى المكالمة وقال والسعادة تغمر عينيه:

-هذه المكالمة أحيت روحي من جديد و روت ظمأ خوفي، سأقابلها غدا يا سندس.

- أخي الغالي عادت لك البهجة من جديد، لك الحمد يارب، هل تعرف لم كل هذا التاخير؟

- كانت تقوم بإجراءات السفر لذلك انشغلت، وتعتذر جدا لعدم اتصالها منذ البداية.

- حمداً لله أنها بخير، ستأخذ أحدا أم ستذهب وحدك.

- نعم سآخذك أنتِ.

- رائع.

وعادت البهجة والإشراق من جديد للمنزل.

***

اليوم الذي يحلم به منذ قرابة العام، سيقابل أخيرا من كتب فيها الشعر خفية، من رأى فيها براءة الطفل، وحنان الأم، وخوف الأخت، سيقابلها أخيرا، من ستكمل أبجديته الناقصة، من ستكتب معه أبحر شعر لميلاد حبهما الذي سيكتمل برباط مقدس وعقدة يزاد ترسخها في قلب كل منهما، إنها فتاة أحلامه التي طالما رسم معها حياة يملؤها حب طاعة الله عز وجل وحب رسوله، من ستعيش معه الحياة بتقلبها ما بين فرح وهم وضحكة ودمعة، من ستحيا معه بنصف واحد «نصف قلب ونصف روح ونصف دنيا، يموتان معا ويعيشان معا، أي كشخص واحد».

***

وصل إسلام وسندس قبل الموعد بنصف ساعة، أوصى على المشروبات إلى أن يصلا فقد علم من سندس أنها وياسمين فقط الآتيتان.

دخلتا معا إلى النادي، متوترة كأي فتاة بالطبع، لا تعلم من ستقابل، رأت خالتها تشير إليها، إلى تلك الطاولة، ألقت نظرة على الجالس فإذا به إسلام، إزداد بريق عينيها، وتحجرت في

مكانها، وكزتها خالتها لتستفيق ثم قالت:

- إنه من طلب، ليفاجئك.

حينها عاد بها شريط الذكريات إلى أول مقابلة بينهما عند العم فخري، نظر إليها بابتسامة عذبة أخجلتها، أجلستها خالتها في المقعد المقابل له، وأشارت لسندس بأن تجلسا في الطاولة المقابلة لهما فوافقت، جلست في صمت، فقيرة الكلمات وشحيحة المعرفة، لم تجرب من قبل أن تجلس أمام شاب وجها لوجه، حروفها مبعثرة غير قادرة على النطق بكلمة واحدة، أحست أن كل الأسئلة قد تطايرت ولم يبقَ إلا التفكير في كيفية الخروج من هذا المأزق، بدأت بالحمحمة لتحاول تذكر أي شيء، ولكن دون جدوى، فقط يزداد تلون وجهها احمرارا من شدة الخجل، أما عنه فهو يراقبها ويبتسم، يعلم أن كل هذه الحمحمة من فرط خجلها، وأن حياءها قد أنساها حتى اسمها فبدأ يسهل لها الطريق لتسترسل في باقي الأسئلة وقال:

- أعلم أنك قد نسيتِ كل ما حضرته من أسئلة، فهذا طبيعي، ويبدو أيضا أنه لا يوجد لديك خلفية عما تقوم به الفتيات في الرؤية الشرعية، كان من المفترض أن تجهزي ورقة حتى لا تنسي شيئا، ولكنك اعتمدتِ على ذاكرتك التي خانتك أليس كذلك؟

ردت بصعوبة، فقد أحست أن لسانها معقود

- أخبرتني الفتيات بذلك ولكن ...

- لكن ماذا؟

-لا شئ.

- حسنا سأبدأ أنا.

- قبل أن تتكلم أريد أن أعرف لم اخترتني أنا؟

- سأخبركِ لاحقا.

- لا أعلم إن كنتِ ستصدقين أم لا، لكن أمر تصميم الفستان لأمي كان من اختراعي حتى تراكِ وتتقرب منك.

- كل شئ مرتب من البداية وأنا كالبلهاء لا تعلم شيئاً .

- لم أرد أن أشغل تفكيرك ... هل لي بسؤال: هل والداك حقا توفيا؟

- تقصد اختطفهما الموت، الموت الذي لم يترك لنا حبيبا، علمنا معنى الفقد.

قامت لتداري انسكاب دمعتين حارتين طفرتا من خديها، فنظرت كل من سندس وياسمين إلى إسلام لتفهما ما يجري، أخبرهما سريعا قبل أن تأتي، غسلت وجهها، وها هي تتجه إلى الطاولة لكن فجأة ..

صوت ارتطام يصم الأذان، أفزع كل المتواجدين، ركضت إيلاف لترى ما يجري خارج النادى، فرأت سيارتين متصادمتين ويبعد قليلا عنهما طفل صغير ينزف ويصرخ من شدة الألم، ركضت نحوه دون أن تنظر يمينا أو يسارا، وإذا بسيارة تأتيها سريعا وتصدمها ...

***

تجمد الدم في عروقه مما رآه، منذ لحظات فقط كانت تجري لترى ما يحدث وهاهي الآن سابحة في دمائها، جروح وكدمات، سرعة في التنفس مع ضعف في النبض، جسمها صار باهتا وأسفل عينينها بدا أزرق، غير قادرة على الكلام تقول كلمة وتسقط منها الأخرى، رفع رقبتها وشد رأسها للخلف ليتأكد أن مسار الهواء مفتوح للرئتين، أوقف نزيف الوريد بكوفيته المفضلة، ومن ثم حملها كطفلة إلى السيارة، احتضنتها ياسمين والدموع منهمرة على خديها (كيف سأعُلم الجميع بالخبر، يارب سلم، يارب سلم، لا تُرنا فيها مكروها يا الله).

فجأة فقدت الوعي، وتوقف النبض، صرخت ياسمين ليغيثها إسلام، فأوقف السيارة سريعا وبدأ في إنعاش القلب، دون جدوى، سار بأقصى سرعة ليصل إلى أقرب مستشفى مجهزة، صرخ بأعلى صوته ليصل طاقم التمريض بالسرير المتحرك، وبمجرد أن رآها الأطباء، نادوا بتجهيز غرفة الأشعة لعمل أشعة تلفزيونية، أجروا لها التحاليل سريعا قبل أن يدخلوها للأشعة، فصيلة دمها «٠» سالب، خرج الطبيب ليأخذ متبرعا منهم له نفس الفصيلة فلم يجد فصيلة متطابقة إلا من إسلام، فطلب منهم أن يجدوا سريعا متبرعين آخرين وإلا فحالتها ستزداد خطورة، اتصلت ياسمين وهي تذرف الدموع على حبيبتها، وأخبرتهم أن يأتوا في الحال ليتبرع من له نفس فصيلة دم إيلاف، سمعت صراخهم ونحيبهم، فرجتهم أن يتوقفوا ويتعجلوا حتى لا تتعرض حياتها للخطر، جاءهم الطبيب بعد أن أجروا لها الأشعة وقال: نزيف داخلي ولابد أن تتدخل لغرفة العمليات، أرجو أن يتواجد المتبرعون خلال ربع

ساعة لنجري العملية فورا، لأنه يوجد عجز في هذه الفصيلة في بنك الدم، تدخل إسلام وقال:

- خذوا الكمية كلها مني الآن، ألم تجروا لي الفحوصات ورأيتم أني معافى، هيا أنا مستعد.

- هل جننت ستموت، سناخذ منك كمية فقط، هيا تعال معي.

جدتها وحمزة فقط من يحملون نفس الفصيلة، دلف كل منهما لإجراء الفحوصات، تأكدوا من سلامتهم فسحبوا منهما الدم ودخلوا به لغرفة العمليات كانوا قد جهزوها تجهيزا متكاملا ليبدأوا فورا، أثناء العملية انخفض ضغطها مما أدى إلى دخولها في غيبوبة، خرج طبيب من غرفة العمليات ليوافيهم بالتفاصيل، فركضت ياسمين نحوه متلهفة لكلمات تثلج صدرها، رددت بنبرات متهدجة من كثرة البكاء:

- كيف حالها؟!

- أجرينا العملية، لكنها لم تستجب بعد.

- أيهما أقرب إلى حبل الوريد منها؟! الموت أم الحياة؟!

- .....!!

- أرجوك تكلم.

-عملنا ما بوسعنا لإبقائها على قيد الحياة، تجاوزت مرحلة الخطر قليلا، لكنها دخلت في غيبوبة، أدعو الله أن تستفيق سريعا، حتى لا نرجع لنقطة البداية .

قابعة في غرفة العناية المشددة، لا يدخل إليها إلا الأطباء، بعد معاناة طويلة لانت رأس الجدة وذهبت لتريح جسدها المتعب في الغرفة، بينما أصر كل من حمزة وياسمين على البقاء لينظرا إليها من خلف العازل الزجاجي، نظرت ياسمين بعينين حانتين إلى إسلام وقالت:

- اذهب لتسترح قليلا ياإسلام، فوقوفك لن يجدي نفعا.

- سأبقى هنا إلى أن أرى عينيها تتحدثان ووجهها يبتسم.

- وإن بقيت على حالها؟!

- بقيت على حالي

-.....

- أنا منحوس جدا يا أستاذة ياسمين، لو تعلمين الأحلام التي رسمتها مع إيلاف تكتب ألف قصة.

- لا تقل هذا يا إسلام أرجوك، ستتعافى بإذن الله، إيلاف قوية.

في نفس ذلك الوقت كان حمزة يتجادل مع طبيب بخصوص الدخول إليها في العناية قائلا:

- أريد أن أدخل.

- منع رئيس الأطباء أن يدخل عليها أحد.

- وماذا تسمى هذا الكم من الأطباء؟ أليسوا أحدا؟

- أرجوك، هذه وظيفتنا.

- انـا الـذي أرجـوك، دعنـي أقـف بجانبهـا، لتشـم رائحتـي وأشِـعرها بالأمـان.

- أدخل ولكن بهدوء، ولا تسبب لي المشاكل.

- شكرا جزيلا.

رأى تلـك الملامـح المفعمـة بالنشـاط والحيويـة، باهتـة ذابلـة، قبَّـل يديهـا باكيـا وقـال:

- أنـا بجانبـك يـا أختـي، لـن أتـركك، وانـتِ لا تتركينـا، أرجـوكِ كـوني قويـة مـن أجلنـا، هيـا أفيقـي لنفـرح بـكِ، انظـري هـا هـو إسـلام ينتظـرك، رأيتـه يبكـي منـذ قليـل في الغرفـة ويطلـب مـن الله أن يتـم شـفاءك، علمـت حينهـا أنـه يحبـك بصـدق. لـن أخـاف عليـك وأنـتِ معـه .

أشار إليه الطبيب بالخروج، فخرج دون نقاش.

***

مـر يومـان وهـي عـلى حالهـا، جسـد هامـد بـين الحيـاة والمـوت، منـذ البارحـة وإيثـار عـلى حالهـا فقـط تنظـر إليها مـن خلـف الزجاج وتبكـي، وأخواهـا يربتـان عـلى كتفهـا لتهـدأ، قلبهـما يعتـصر ولكـن يتمالـكان مـن أجلهـا، قـرر إسـلام أن يرفـه عنهـا قليلا حتى لا تشـعر بخطـورة الوضـع، حملهـا ومسـح دموعهـا وقبـل وجنتيهـا ثـم قـال:

- أتعلمـين ! سـتفيق إيـلاف مـن سـباتها اليـوم بـإذن الله أو غـدا، وسـنقيم حفـلا رائعـا لخطبتنـا وسـتكونين ابنتـي الصغـيرة التـي أحـب، مـا رأيـك؟

- أتمنى أن أرى ابتسامة أختي ثانية، أنا أبكي منذ يوم الحادث، لم أذق طعم النوم، أخشى من فقدان أختي يا إسلام.

احتضنها لتبكي على دموعها تريحها قليلا، ظلت تبكي حتى نامت على كتفه.

***

سمعت رنين الهاتف، رأت رقما غريبا فردت، علمت أنه رقم نور، المسكينة منذ ثلاثة أيام وهي ترن على هاتفها ويعطيها دائما مغلقا، صدمتها ياسمين بما حصل، انهارت من شدة البكاء وقالت:

- لما لم تخبريني، ألست صديقتها؟ قلبي كان يحدثني أن شيئا قد حدث، أنا آتية فورا.

وضعت هاتف إيلاف على الشاحن حتى تستقبل أي اتصال لها، وبعد ربع ساعة من فتحه وجدت رقما مسجلا باسم «الشركة» يتصل، حدثها بالتركية فلم تفهم وطلبت منه التحدث بالإنجليزية، فهمت مما قاله أنه قد أرسل إليها منذ يومين تذكرة الطيران ولكنها لا تفتح بريدها الإلكتروني هل حدث مكروه؟

فأجابته بحزن: نعم قد صدمت ابتنا سيارة وهي الآن في غيبوبة.

- سأخبر المدير بذلك .

بعد ربع ساعة من اتصاله وجدت نفس الرقم يتصل، أخبرها أن المدير يريد العنوان بالتفصيل لأنه حجز وسيأتي ليطمئن عليها بنفسه .

انهت المكالمة وفي ذهنها علامات استفهام (ألهذه الدرجة يحترمون موظفيهم؟)

***

علا صوت صهيب منادياً الأطباء:

- إنها تستفيق، رأيتها تفتح عينيها وتغمضهما.

دخل الأطباء بسرعة لغرفة العناية ورأوها، أجروا لها الفحوصات، ومن ثم خرجوا ليفرحوا الأهل باستقرار حالتها وأنهم بعد سويعات يمكنهم الدخول إليها، سجد صهيب وحمزة سجدة شكر لله عز وجل وتمتم الجميع :

- الحمد لله.

سألا موظفي الاستقبال عن اسمها فدلوهما على الطابق والجناح والغرفة التي فيها، وعند وصولهما وجدا مجموعة من الأشخاص يظهر عليهم علامات السرور فسألهم المدير بالعربية:

- هل انتم أقرباء إيلاف؟

-نعم من أنت؟

-أستاذ عبدالحميد مدير الشركة، هل أصبحت بخير؟

ردت ياسمين بامتنان وفرحة:

- نشكرك كثيرا على قدومك أتعبت نفسك، منذ نصف ساعة فقط بشرنا الأطباء بتحسنها.

-الحمدلله، سننتظر حتى تسترد عافيتها حتى أتحدث إليها فأنا مدين لها بالكثير، منذ عملها معي والشركة تزداد ازدهارا.

-شكرا جزيلا هذا من كرمك، تفضلا في الغرفة إلى أن تأتي إيلاف.

انتظرا قليلا في الغرفة، وبعدها أدخل الأطباء والممرضون إيلاف إلى الغرفة، دقائق وفتحت عينيها لتشاهدهما، تعلم شكل مدير الشركة من الصور لا تعلم هل تحلم أم أنه حقا أمامها ردد في سعادة وبهجة:

- حمداً لله على سلامتك يا بنيتي، طهور إن شاء الله.

- هل جئت خصيصا من أجلي يا حضرة المدير؟

- أجل يا بنيتي، هذا أقل شئ أقدمه لك.

-شكرا جزيلا لك هذا من لطفك.

-بفضلك ازدهرت شركتنا، لك مني مفاجئة جميلة في نهاية العام.

-حقا! شكرا من الأعماق.

***

دخلت الغرفة متلهفة على صديقتها التي انفطر قلبها عليها، قبلتها باكية، معتذرة على التأخير، فلم تكن تعلم كل ما جرى لحبيبتها، قالت لها إيلاف بسعادة:

-لاتقلقي حبيبتك بخير.

-حمدا لله كثيرا أنك معنا .

- بفضل دعائكم لي، لا حرمني الله منكم.

-ولا منك يا حبيبة الفؤاد، استريحي فأنت متعبة، سأتردد عليك إلى أن تنيري البيت

***

بعد عشرة أيام أصبحت بحال أفضل، جاءها إسلام بصحبة والدته وسندس ليطمئنوا عليها، فمنذ أن أفاقت وهو يأتي ليطمئن عليها بعد عمله ولكن لا يبيت، بعد أن اطمأنوا عليها هموا بالرحيل فنادت إيلاف إسلام وقالت:

-أريد أن أتحدث معك قليلا، بعد إذنك طبعا.

فهمت ياسمين مرادها فقالت:

- سنترك معكما إيثار ونحن سننتظر في الخارج.

- تفضلي أسمعك.

-علمت أنك تبرعت بالدم من أجلي، وكنت مع أهلي طيلة الوقت، حتى إيثار لم تتركها إلى جانب سهرك وتعبك في المشفى، لن توفي الكلمات حقك، شكرا من أجل كل شئ.

لم تصدق أذناه ما تسمع، إيلاف تشكرني! ياللروعة، رد عليها بثغر باسم:

-لا تشكريني فهذا واجبي.

-احم، بخصوص أمر الارتباط، فكرت ملياً واستخرت الله كثيراً إلى أن ألهمني الصواب، أستاذ إسلام أوافق أن تكون زوج لي في المستقبل ولكن لدي شرط.

هفا قلبه طربا مما سمع وقال:

-أوافق على أي شرط تطلبينه.

-أبي رحمة الله عليه قبل وفاته بأشهر جهز الطابق العلوي لأربعتنا، وترك اللمسات الأخيرة ليختار كل واحد ما يناسب ذوقه، أريد أن أعيش في الشقة التي جهزها لي والدي، إلى أن يشتد عود إخوتي، لأنني لا أستطيع تركهم.

-أوافق من أجلك ومن أجل إخوتك، لا أستطيع أن أحرمهم منك وخصوصا إيثار، لكن اعلمي أن شقتي جاهزة، كنت أنتظر شريكة حياتي، لتشاركني في كل صغيرة فيها، فهو قصرها التي تجمله على ذوقها.

-وهذا ما كان أبي يريده أن نتشارك في أدق التفاصيل.

***

بعد عام، إنه اليوم المنتظر، اليوم الذي سيبوح كل منهما بما في مكنونه دون خجل، دون مخافة من الله عز وجل، اليوم الذي ستندمج فيه الروحان بوشاج علاقة يصعب الفكاك منها،

اليـوم الـذي سـيذهب فيـه ظمـأ قلبيهـما لتبتـل عروقهـما بحـب حـلال.

بعـد أن جهزتهـا نـور أغرورقـت عيناهـا وذرفـت دموعهـا فرحـا لأن الله سـيجمعها بمـن أحبـت، احتضنتهـا إيـلاف والعـبرات تسـيل مـن مقلتيهـا وقالـت لهـا:

-حتـى وإن انشـغلنا عـن بعضنـا في بعـض الأحيـان، سـتظل صداقتنـا السرمديـة مسـتمرة لا تنقطـع، أعـدك.....

***

بعـد صـلاة العـصر دخلـت العـروس إلى مصـلى السـيدات، فقابلتهـا الفتيـات والسـيدات بالمبـاركات والتهـاني، أولهـم سـندس التـي أقبلـت عليهـا تقبلهـا وتحتضنهـا، ومـن ثـم الخالـة زينـب فرحـة بزوجـة ابنهـا الوحيـد التـي طالمـا دعـت الله أن يرزقـه إياهـا في حلالـه، ظلـت واقفـة تسـتمع لمـا يقولـه المـأذون، لكـن عقلهـا كان شـاردا لم يفـق إلا بعـد أن دعـا المـأذون لهـما.

زغاريـد الفتيـات وأناشـيدهم عجـت بالمصـلى، وكزتهـا نـور قائلـة:

-أفيقي يا عروسي الجميلة، صرتِ زوجته على سنة الله ورسوله.

-غير مصدقة ما يجري يا نور .

نظـرت مـن النافـذة المطلـة عـلى المسـجد فـرأت إسـلام يصنـع لهـا قلبـا بيـده، فابتسـمت لـه ابتسـامة سريعـة وعـادت للفتيـات.

بعد أن هنأته الجميع استأذن ليختطف عروسه من بين الفتيات، كان في يده دفتره الذي طالما حفظ سره سيعطيه أخيرا لمن تملكت قلبه، دخل عليهن فاستقبلنه بالزغاريد والأناشيد، نظر إليها طويلا ثم بدأ يقترب أكثر، وكلما اقترب تزداد خفقات قلبها، تورد لون وجهها عندما أمسك كفيها وقبَّلهما، وبعده حضن استمر طويلاً، ردد في سعادة:

- ها قد تجرأت أمام الجميع واحتضنتك يامن سكنتي روحي وفؤادي، الحمد لله الذي رزقني حلمي، دمتِ لي زوجتي ورفيقتي في دنيتي وآخرتي.

«أما بعد، قد تلاقت الأرواح وتجندت فكما يقال: «الأرواح جنود مجندة»، وها نحن نشهد اتحاد الروحين معاً، بدآ طريقهما بعهد الله، وفي طاعته، فاللهم بارك لهما وبارك عليهما واجمع بينهما في خير».

كما أبكاك القدر حزنا فاعلم أنه سيبكيك فرحا لأنها عدالة السماء.